# عُشْ الخُفاشِ

أَنَا الرواي، أنَا الشاهدُ العِيانُ، أنا مَنْ رأى، ومَنْ سمع، ومَنْ عَرَفَ، ومَنْ تَأكدَ، لا أنتمي أنا للزمانِ، ولا يراني البشرُ، لَستُ قدرًا، لكني مُقدرٌ، أنَا مَنْ سيَحكي، وأنتَ مَنْ ستقرأ وتَسمع وترَى، أنا مَنْ سيَتحكمُ في خيالِك أثناء قراءتِك وبعدها، أَعِدُكَ طالما وصلتَ لهذه السطور فأنَت معي، حتى بعد ما تُغلقُ هذه الصفحاتِ وتطوي هذه الأفكارَ، ستظل معي، ستُفكرُ فيما قرأتْ، سيتَحكمُ ما كتبتُ في أغوارِ مشاعركِ، سيُرافقك كحُلمكَ المنشودِ، نحن الآن معًا، ولا نعلم غدًا مع من ستكون أنت، ومع من سأكون أنا.

هل ستَرى معي أن أنورَ هو الضحيةُ الوحيدةُ؟ أم أنك ستراه طامعَ جشعًا أنانيًا، هل سترى هانمَ الفتاةَ اللعوبَ أم ستراها المرأةَ التي اعتنت بطفلٍ لم تُنجبْه حتى أصبح سيدَ القريةِ؟ هل سيُصبحُ سيدَ القريةِ، أم سيَهجُرها؟ هل ستتعرف على الدكتور عبدِ العظيم كما تعرفتُ عليه؟ أم أنك ستَراهُ مؤلفَ سيمفونيةِ الانتقامِ الأكثرِ بشاعةً؟ سنرى يا صديقي، سنرى، الشيءُ الوحيدُ الأهمُ أننا سنرى سويًا، وسنصلُ سويًا لنهايةِ واحدةِ غيرِ متوقعةِ مهما توقعت، لا تَعتَبر هذا تحديًا ولا حتى تحفيز لإيصالكِ للنهايةِ معي، هذا إيمانٌ عن تجربةِ، لم أتوقعْ نهايتَها حتى أنا، والأكيدُ الوحيدُ أننا سنصلُ جميعًا لنهايةِ ما غيرِ متوقعةِ.

لكن اجعلنِي أسألُكَ يا صديقي في البدايةِ هل تؤمن أن هُناك نهاياتٍ غيرَ متوقعةٍ؟؟

سنعرف...

# أنور طفلًا

## قبل العامِ ٢٠١٩ بعشرين عامًا

يعيشُ أنور ابنُ التسعةِ أعوامٍ في قريةِ سندنهور بمحافظةِ القليوبيةِ، لكنه أين يعيشُ بالتحديدِ؟ يعيشُ في منطقةِ «العِلوةِ» أو في قولٍ آخر «الدُحريجة» وهي منطقةٌ محيرةٌ جغرافيًا، هي منطقةٌ كالهرمِ الثلاثي لها ثلاثةُ مطالعٍ يتجمعوا في نقطةِ واحدةِ وهي «العِلوة» تَصعدُ هذه المطالعَ تدريجيًا كما الأهراماتِ بالضبط، وتصعدُ معها البُيوتُ مرصوصةٌ بدرجةِ الميلِ نفسِها، تجتمعُ عِندَ نقطةٍ واحدةٍ وهي «دكانة عم شحتر» عم شحتر هو الملاذُ الوحيدُ لكل الأطفالِ الذين يرغبون في شراءِ «الدبور» و»الأووُطَان» - وهو الخيطُ الذي يُلفه الأطفالُ حول الدبورِ ليقذفوه فيدور حول نفسِه حتى يتوقف، أو يرفعُه الماهرُ منهم حتى يدورَ على يدهِ أو على الأوطانِ نفسه، «دكانة عم شحتر» هي مركزُ الحكاياتِ التي يُقابلها «الجامعُ الكبيرُ» الذي كان الأكبرَ في القريةِ ذات يومٍ، لم يعدْ الاكبرَ، لكنه احتفظَ باللقبِ، واحتفظَ أيضًا بالصخرةِ الكبيرةِ الراسخةِ القابعةِ أمامَه منذ بدايةِ الخلقِ تقريبًا.

قِيل عن «العِلوة» الكثيرَ مِنَ الحكاياتِ والأساطيرِ التي لا يَعلم أحدٌ هل هي حقيقيةٌ؟ هل هي من خيالِ أهلِها؟ هل أَلَّف بعضُهم هذه الحكاياتِ ليتحكمَ في الآخرين؟ لا يَعلمُ

أحدٌ، لكنه يُريد أن يَعرف، يُريد «أنور» أن يعرفَ كلَ شيءٍ، كان طفلًا لا يَكُف عن شيءٍ، لا يَهدأ، لا يَسكت، لا يَتعب، تقريبًا لا يَنام، يرى كما تقول له أمه «هانم» منامات وكأنها حقيقةٌ، كأنها واقعٌ، يبحث «أنور» عن كلِ الأشياءِ، يسألُ أَمه هانم «بفتح الهمزة» عن أصولِ الحكاياتِ، يَسألُها وكأنها محركُ البحثِ الخاصِ به، لا يتوقع منها أن تقولَ لا أعرف، يَعرفُ أنها دائمًا تَعرف، كان يَسألُها وهي حتى أمامَ «الفرنِ» أو في قولٍ آخر «المَنقد» وكانت تُجيبه، والأهمُ كانت تُنقذه في كلِ الأوقاتِ حتى الأحلكِ منها، كانت الأحنَ بين الأمهاتِ، لكنها كانت سريعةَ الغضبِ والسبِ، وهي الصفةُ التي ورِثها عنها «أنور»

أنور: أَمه هانم.. أَمه هانم.. أمه هانم

هانم: إيه يا واد يا أنور مسكك عفريت ولا إيه؟؟

أنور: ده أنا اللي أمسكه.

هانم: عفي يا ابن بطني.. أمال إيه اللي شندلك كده وجايبك بتتكفى.

أنور بتردد: أنا.. أنا

هانم: أنت إيه يا واد انطق.

أنور: أنا بطحت عم شحتر.

قامت هانمُ وهي تَفركُ يَدَها من بَقايا العجينِ، وتَنفضُ

عن جِلبابِها المزهرِ ذي «السُفرةِ» التي تحوي الشريطَ «المكشكشَ» و «المَرَد» الذي يُغلق على الأزرارِ بشدةٍ، قامت وهي تَنْفضُ الدقيقَ «المكلكعَ» من حِجرِ جلبابِها، وهي تَصرخُ فيه وتقول:

هانم: تبطح عمك شحتر يا ابن الكلب يا وسخ.. تبطح الراجل اللي بيعطف عليك ويوكلك يا جعان.. بطحته ليه؟ بطحته ليه؟ وفتحت دماغه يا اللي تنفتح نار جهنم ف وشك.

رد أنور بغضبٍ شديدٍ: أنا مش جعان ومحدش بيوكلني.. أنا راجل.. والله ما أنا واكل تاني.. والله ما أنا واكل تاني.

وغادر أنور في غضبٍ شديدٍ، وكان عندما يَغضب يَحمُر وجهُه كوهجِ فرنِ أمه هانم، يُخرج نارًا من عينيه يَكفي لإضاءةِ بيتٍ، يَبعثُ غضبًا يُمكن أن يَشعرَ به المارُ في أسفلِ «العُلوة» كان يَثورُ عندما يَشعر بيُتمِهِ، ليس فقط لليُتِم لكن لليُتِمِ غيرِ المبررِ، كان يَثورُ عندما يَشعرُ بفِقرِه، ليس فقط للفقرِ لكن للفقرِ غيرِ المبررِ، كان يثورُ عندما يشعرُ بالضعفِ، الضعفِ غيرِ المبررِ، كان يثورُ، كان دائمًا يثور.

هانم: بتجري وتسيبني؟ بتجري وتسيبني يا ابن النجس؟

سمِعها أنور، يسمعُ هذه الكلمةَ منها مرارًا، يسمعُها فقط عندما يتخلى عنها ويَبعدُ عن نظرِها، عندما تشعرُ منه أنه يُمكنه أن يتركهَا، هو يَعلمُ أن لوالدِه قصةً، ربما تخلى

عن أمِه، ربما خانَها، ربما زرعَ فيها بذرتَه وهَربَ، وهذا أقربُ احتمالٍ لطفلٍ لا يعلمُ من أباه، طفلٌ مكتوبٌ باسم خالِه، لا يعلمُ عن أبيِه سوى أنه «نجس» لا تأتي سيرتُه إلا «بالنجس»، سأل أنور عن النجاسةِ وعَلِمَ من بين السطورِ أنها شيءٌ لا يَقبل اللهُ منك شيئًا طالما تُوصفُ بها، لكن ما علاقة تَقُبل اللهُ للأفعالِ بما فعله أبي بأمي؟ هل لن يُقبل عملٌ لأبي لمجرد غضبِ أمي عليه؟ كان يَسألُ أنور نفسَه دائمًا هذا السؤال، وهل ثقةُ أمي في «نجاسةِ» أبي هي من ثقتها بأن اللهَ يَثقُ في تقييمِها لأبي؟! هل يأخذُ اللهُ التقييماتِ من البشرِ؟ كيف؟ كيف وهو الخالقُ؟ ولو كان الوضعُ هكذا لماذا سيُحاسبُنا هو؟ إذن فنحاسبُ بعضنُا البعض!

هكذا كان يُفكر «أنور» يبدأُ من حيث الصدفةِ ليصلَ إلى النهاياتِ المفتوحةِ، لا يجدُ إجابةً وافيةً شافيةً مقنعةً كافيةً إلا عنده، عنده فقط «الخال حامد».

# الخالُ حامد

الخال حامد: جاي بتجري ليه ياض يا ابن الهرمة؟

أنور: متشمتش يا خال حامد، والله أسيبك أنت كمان.

الخال حامد حانيًا عليه: طب تعا يا واد تعا ف حضن خالك.. أمك ضربتك عشان سرقت العيش المشدد تاني؟ ما أنت دني وطفس يا أنور.

أنور: مسرقتش حاجة يا خال.. مسرقتش والمصحف.

الخال حامد بتساؤل: أمال دهولت إيه؟

أنور غاضبًا: كنا بنعلب أنا والعيال عند الجامع وعم شحتر زعق لنا كلنا، والواد عبد الله غاظه وراح دالق ميه ع الحجر اللي قدام الجامع.. وراح قايله إن أنا اتبولت عليه.

الخال: يا ابن الهرمة يا عبد الله.. الواد ده طول عمره جن مصور.. وطبعًا عمك شحتر ضربك فرحت باطحه.

أنور: لا.

الخال حامد: أمال حصل إيه؟

أنور: عم شحتر أول ما بص ع الحجر ولقاه مبلول.. رايح قايلي بقى أنت تعمل كده في الحجر اللي قدام بيت ربنا يا ابن النجس؟

الخال حامد: هو قالك كده؟

أنور: آه.. وقالي كمان ما هو هانم هتخلف إيه يعني؟؟ دكتور؟! ما هو أكيد عيل زي أبوه.

الخالِ حامد: ده شحتر كده اتخبط ف نفوخه.. أنا هقوملـه أنا كمان والله أفتح باقي دماغه اللي أنت سبته سليم.

أنور بلؤم: مفيش فيها حتة سليمة.

الخال حامد بفخر وتشجيع: جدع يا واد.. جدع وراجل لخالك.

أنور: يعني أنا مش زي أبويا؟

هانم هي مَنْ صنعت هذه السُمعةَ عن والدِ أنور، وتخيلت أنها بذلك فتحت بابَ الحكاياتِ كي لا يَسأل أحدٌ مَنْ هو الأبُ الحقيقيُ لأنور، تخَيلتْ أن هذه الطريقةَ التي افتعلتَها ستَفتحُ الطريقَ لخيالِ كلِ مَن في المنطقةِ كي يَغزلَ بيدِه خيوطَ القصةِ، ويُصدق ما يُريد، كان المهمُ بالنسبةِ إليها ألا يَعرف أحدٌ الأبَ الحقيقيَ لأنور، والأهمُ ألا يَعرف أحدٌ أين أَنجبت أنور، ولماذا أَنجبتُه خارجَ البلدِ، وهل حقيقيٌ أنها تَزوجت من رجلٍ من بلدٍ بعيدةٍ في المنصورة، واختفى بعد ما أصبحت حاملًا؟ فتحت هانم بابَ التأليفِ والخيالِ لكلِ شخصٍ في القريةِ، تَحملت سوءَ السمعةِ لها ولابنها مقابلَ أن يبقى السرُ بينها وبين حامد فقط.

# مذكراتُ د. عبدالعظيمِ

## الملفُ الأولُ «والدي»

عَرَفتُ منذ صغري أنني أحملُ الفنَ في داخلي، تَشَّربتُه مِن أَبي الذي كان رائدًا في فنِ النحتِ والكاريكاتيرِ، كان أبي إقطاعيًا، لكنه رقيقُ القلبِ، فنانٌ، يعشقُ الموسيقى، ويكتبُ الخواطرَ والأشعارَ، يهتمُ بفنِ المعمارِ، يجمعُ المخطوطاتِ القديمةَ، يجمعُ العملاتِ، يجمعُ الحكاياتِ من الفلاحين، يرسِمُها في كاريكاتيرِ ويَوزِنُها في أشعارٍ، كان يكتبُ عن الفقراءِ كأنه منهم، يصفُ حياتَهم كأنه يَعيشُها ويعاني معاناتِهم نفسها كأنه لسانُهم، يحبُ الفلاحين ويُحبُونَه، يعطفُ عليهم ويُخلصوا له، يَأتمنُونَه على أعزِ الأشياءِ، على أسرارهمِ، وعلى بُيُوتهِم، وعلى أبنائِهم وبناتِهم.

كامل باشا.. هكذا كان يُلقبه الفلاحون، وكان يَرفض هذا اللقبَ لأنه غيرُ رسميٍ، لكنهم أصروا فأصبح يَغض السمعَ عنه وكأنه لا يَسمعُه، وأصبح لا يُحرك داخلَه إلا غُصةً من أنَه لم يحصلْ عليه رسميًا.

قُربه من الفلاحين جعلني أختلطُ بهم أكثرَ من أبناءِ عمومتي الذين هاجروا في مرحلةٍ سنيةٍ صغيرةٍ، وعاد بعضُهم بعنجهيةٍ وكبرٍ لا حدودَ لهما، ولم يبقَ في القريةِ إلا نحن وهم، أسرةٌ صغيرةٌ تُعبر عن عائلةٍ كانت كبيرةً كبيرةً

جدًا، لكنها في فترةٍ صغيرةٍ - وبشكلٍ مخيفٍ - أصبحت عائلةً مهترئةً مبعثرةً، كارهةً لبعضِها البعض، كأن شيطانٌ نفخَ روحَه بينهم، وكأن المالَ بدلًا من أن يَجمعهم، فَرقهم، بل مَزقهم، ولم يُبقِ منهم على الأرضِ و»البلدِ» إلا أبي «كامل باشا»، حتى الفئةِ الصغيرةِ التي ظلت هنا كانت تعيشُ فقط لحمايةِ القصرِ والمصالحِ، وتُضيِّيق الخناقَ علينا.

أما كامل باشا فكان اسمًا على مُسمى، فهو كاملُ الصفاتِ، مثقفٌ، عادلٌ، على حقٍ، فلا يوجدُ فلاحٌ لم يأخذ حقَه في حياةِ والدي، وأوصاني من بعدهِ على ذلك، كانت من أهم وصايا والدي، أَلَّا أُؤخرَ أجرًا على عاملٍ، وكان يقولُ دائمًا «دول بياكلوا يوم بيوم.. لو اتأخرنا يوم هيباتوا على لحم بطنهم».

هناك سرٌ.. بالتأكيد هُناك سرٌ يَحمِلُه أبي يَربطه بهذه القريةِ الفقيرةِ، قال لي ذاتَ مرةٍ أن ذلك الخيطَ هو تاريخُ هذه القريةُ، وقال في مرةٍ أخرى إن رائحةَ تُربةِ «قريتهِ» تَحميه من خوفهِ أثناءَ النومِ، وقال في مراتٍ متباعدةٍ أسبابًا متباعدةً أيضًا، وعلى الرغمِ من ثقتي في صدقِ والدي، فإنني أثقُ في أن هناك سببًا أهمُ مِن كلِ هذه الأسبابِ، ويَتَعمدُ والدي أن يُخفيه.

عَرَفَتُ هذا السببَ، عندما انتهيتُ من قراءةِ مذكراتِ أبي «كامل باشا» ما رأيتُه في الصفحةِ الأخيرةِ، لو رَأيتُه

من بدايةِ حياتي لكانَ وَفَّر عليَّ نصفَ حياتي على الأقلِ، كان سيُجَنِبني الخطأَ الأكبرَ الذي دَمَّر حياتي، كنتُ سأبتعدُ عن «عطيات» لو قرأتُ ما قرأتُه في بدايةِ عمري ما كنتُ أصبحتُ «خائنًا» «قاتلًا» هاربًا».

## الملفُ الثانيُ « أريانا»

كانت زَوجتي من اليونان، وكان حُبنا استثنائيًا بكلِ الأشكالِ، وكانت هي حربي الأولى ضد أبناءِ عمومتي، كانوا يَرفضُونها رفضًا قاطعًا، عنيفًا، لكنني كنت مُصرًا ولم أقتنعْ بما قالوه مِن أن زوجتي بلا نسبٍ ولا نعرفُ عنها شيئًا، لم نتأكدْ من حَسبِها ونَسبِها وأَصلِها، وكانوا يقترحون عليَّ الزواجَ من إحدى بناتِ الأعمامِ – أخواتِهم- كي لا أخرجَ من رحمةِ العائلةِ كما فعلَ أبي - رَحِمهُ اللهُ - باهتمامِه بالفنِ والقضايَا الاجتماعيةِ، لكنني فَضَّلتُ أَن أعيشَ في فيلا أبي وأَن أخرجَ من قصرِ العائلةِ - والقصرُ هَنا يعني الخروجَ من أموالٍ ونفوذٍ وصلاحياتِ العائلةِ - وأن أعيشَ أنا و أريانا - حبُ عمري، حُلمي - اللونَ الأفضلَ في حياتي، والطعمَ الأحلى، والمنظرَ الأبهج، باختصار كلُ ما هُو حلوٌ.

أنا أذكرُ أولَ لقاءٍ كأنه اليومُ، كنا نتذكر أنَا والأسطى حسن - الذي أَعتبرهُ عمي، الرجلُ الذي رافقني بعد والدي في كلِ تفاصيلِ حياتي، الذي تقمصَ دورَ أبي في معظمِ الأوقاتِ - حوارنَا مع والدي عندما كنتُ في العاشرةِ في المكانِ نفسِه، قبل أن يموتَ والدي بشهورٍ، تذكرنا الحوارَ نصًا كأنه كان

اليومَ.

الأسطى حسن: وصلنا يا كامل باشا.

كامل باشا: طبعًا وصلنا يا أسطى حسن.. أنا بعرف ريحة إسكندرية من أول متر فيها.. أنا كنت بعيش هنا الصيف كله.. ده غير إن والدي الله يرحمه كان له تجارة هنا.. وكنت أنا ماسك في إيده ليل نهار ماكنتش أسيبه غير لما ياخدني معاه ويحكي لي تاريخ الأماكن اللي بنزورها.

عبد العظيم: يعني يا والدي المكان اللي إحنا فيه ده له قصة؟

كامل باشا: أمال! طبعًا يا عبد العظيم يا ابني.

عبد العظيم: طيب ما تحكي لنا لو وقت حضرتك يسمح.

كامل باشا: اركن على جنب هنا يا أسطى حسن.. اركن هنا جنب البورصة.

الأسطى حسن: تحت أمرك يا كامل باشا.

كامل باشا: شايف المبنى ده يا عبد العظيم ده مبنى بورصة إسكندرية.

عبد العظيم: بورصة يا والدي يعني أسهم وسندات ونفس تفاصيل البورصة في بريطانيا؟

كامل باشا: مش بالظبط.. بورصة إسكندية كانت بورصة

القطن ودي من أقدم بورصات العالم، وكانت مؤثرة جدًا جدًا وأول صفقة مسجلة اتعملت فيها كانت في ميدان أوروبا السكندري DES Consuis»

وكان تجار القطن بيجتمعوا ويعقدوا صفقات قايمة على العرض والطلب بشأن القطن طويل التيلة «كرنك» و»منوف» أو القطن قصير ومتوسط التيلة «أشموني» و «جيزة» و « زاجورا» لغاية ما وصلوا في الصفقات للبذور زي «هل» «عفيفي» و «سكلايديز».

عبد العظيم: أيوه يا والدي لكن كانوا بيعرفوا منين الأنباء اللي يعتمدوا عليها؟

كامل باشا: ماهو كانوا بينتظروا وصول «صحيفة الأنباء» من أوروبا علشان ترشدهم في عملياتهم في المستقبل، وكانت السمعة الطيبة هي أهم شيء بيأثر عليهم، اللي بيسلم في ميعاده بيبقى هو رقم واحد والناس بتتلاهف عليه في الموسم اللي بعده، فكان اللي عاوز يحقق ربح لا بد أنه يحترم مواعيده ويكون عنده مصداقية، ومن المقهى الأوروبي لهيئة إسكندرية للقطن لحد ما أنشئ مبنى بورصة إسكندرية عام ١٨٩٩ خلال عهد الخديو عباس التاني وبقت أهم معالم المدينة المحبوبة دي، بس يا سيدي وبقى اللي شايف نفسه أسطى في المال يجي في المكان ده.

الأسطى حسن: أنا آسف يا كامل باشا بعد إذن حضرتك

أنا كنت قريت في مرة أن كان في الفترة دي أو بعدها بفترة ركود اقتصادي في المحروسة بحالها، يا ترى ده أثر على تجارة القطن وبورصة إسكندرية؟

عبد العظيم: إيه ده يا أسطى حسن ده أنت مثقف وقاري للتاريخ كمان؟!

الأسطى حسن: ملازمة كامل باشا تخلي اللي مبيعرفش يفك الخط مثقف يا عبد العظيم بيه.

كامل باشا بسعادة: أنا سعيد بمرافقتك ليا في كل سفرياتي يا أسطى حسن، وأنت فعلًا عندك حق الانهيار المالي حصل عام ١٩٠٧ وعقود القطن الآجلة في عام ١٩٠٩ كانت من أهم عوامل انتعاش الاقتصاد، والانهيار كان كبير طال المؤسسات المصرفية والعقارية في كل المضاربات وتدخل الحكومية شبه مش موجود، وبعدها فضل السوق الفوري لميناء الباسال معزول لحد عام ١٩٣١.

عبد العظيم: إيه هو ميناء الباسال يا والدي؟

كامل باشا: لا يا عبد العظيم إحنا كده في درس علم وأنا عندي مشغوليات يا ابني، هنكمل حكاياتنا عن إسكندرية بعدين.. اطلع يا أسطى حسن على محطة الرمل.

كان أبي دائمًا لا يشعرُ أنه وصلَ الإسكندريةَ إلا في محطةِ الرملِ، وهذا مِن ضمنِ ما ورثتُه عن أبي، حُبِي

لمحطةِ الرملِ، فذهبنَا أنا والأسطى حسن إلى المكانِ نفسِه، وصلنَا محطةَ الرملِ، هذا الميدانُ العتيقُ الذي أراهُ حتى الآنَ كرَجلٍ صُلبٍ طولُه مئاتِ السنينِ، وانحنَى ليعطي طفلتَه وردةً، فرأيتُ به التاريخَ والهَيبةَ والحنوَ.

الساحةُ التي تُزينُها محطةُ الترامِ وقِطارُها الذي يُفرحُنِي كأنُه شخصٌ يأتي لي بأخبارِي السعيدةِ فقط، ويدهسُ كلَ ما هُو محزنٌ، مكتبُ البريدِ الذي يَختمُ بخْتَمِه على وصولِ سعادتي لذُروتِها، وصفائِي الروحي في هذا الجامعِ الكبيرِ القابعِ بجانبه لم أقابلْه في غيِره، جامعُ القائِد إبراهيم.

وهذه العيونُ الساحرةُ، الماكرةُ، المنطلقةُ، غيرُ الخائفةِ، هذه العيونُ التي لا تَحترمُ أيَ قواعدِ، لا تَهابُ أيَ لقاءٍ، العيونُ التي رُسمت بداخلِها هذه الحواري الضيقةِ في سيدي بِشر، الذي رَسَمَ كُحلَها موجُ بحرَ سبورتينج، كانت المرةَ الأولى أرى عيونًا تتنفس، يَخرجُ منها الهمُ، وتدخلُ حظوظَ العالمِ من السعادةِ، عيونًا تَعدُ وعدًا سيَحقق حتى لو انتهى الكونُ.

عيونَ أريانا

عبد العظيم: مساء الخير، أرجوكي إديني علبة أمبريال.

أريانا: خطر شاب رياضي زيك يشرب سجاير.

عبد العظيم: أفندم؟! حضرتك بتكميني أنا؟!

أريانا: أيوه بكلمك أنت.. لكن أنت براحتك.

عبد العظيم: وحضرتك بقى بتنصحي كل شاب يجي يشتري منك أنه يبطل تدخين؟!

آرينا: لا.

عبد العظيم: طيب اشمعنى أنا؟!

أريانا: والله لغاية دلوقتي مش عارفة؛ لكن يمكن أعرف بعدين، على العموم ده اللي أنت طلبته؛ اتفضل.

عبد العظيم: غريب جدًا كلامك يا مدمازيل.

أريانا: أريانا.. اسمي أريانا.

عبد العظيم: أريانا؟!

أريانا: أنا يونانية، تقريبًا أنا الوحيدة اللي فاضلة في إسكندرية مش هتلاقي غيري هنا تقريبًا.

عبد العظيم: وحيدة يعني يا أريانا؟!

أريانا: لا عمري ما كنت وحيدة، أنا بس لوحدي.

عبد العظيم: فيلسوفة يونانية طبعًا.

أريانا: الموضوع مافيهوش فلسفة، الموضوع بسيط إنك تكون لوحدك ده فعل يتحكم فيه القدر، إنما إنك تكون وحيد ده شيء تتحكم فيه أنت يا أستاذ عبد العظيم.

عبد العظيم: إنتي تعرفي اسمي كمان؟!

أريانا: لا.. لكن في واحد بينده عليك من مدة.

عبد العظيم: يا نهار أبيض ده يعتبر عمي.. خدي شيلي السجاير دي عندك.. هرجع آخدها منك، لكن أوعي عمي يشوفها ده ممكن يروح فيها.

أريانا: متقلقش سرك في بير يا عبد العظيم.. مستنياك.

عبد العظيم: طيب مع السلامة.. راجعلك.

أريانا: طيب خد دي علشان لو سألك كنت هنا بتعمل إيه.

عبد العظيم: أنتي أغرب شخص قابلته في حياتي يا أريانا.

أريانا: مش عارفة ده كلام كويس ولا لا؛ لكن هنعرف بعدين.

عبد العظيم: مع السلامة.. مع السلامة.

أريانا: أورفوار.

سحرتني.. خطفت كلَ ما أَمِلك مِن تحكمٍ في ذاتي ومشاعري وأحاسيسي، فجأةُ بدأتُ أُخططُ للعودةِ في أسرعِ وقتٍ ممكنٍ لآرينا لأَراها ثانيةً، لأُحدثَها ثانيةً، لأَفهمَها، لأنظرَ لهذهِ العيونِ الزرقاء التي تَحملُ كلَ مَا خُلقَ من فنونِ الرسمِ والتلوينِ، تَحججتُ بكلِ الحججِ الممكنةِ لأعودَ

لمحطةِ الرملِ، لكنني عدتُ ولمْ أجدْها، ووجدتُ دكانَها مغلقًا ومكتوبًا على بابِه الصغيرِ

«إياك تغيب.. فيغيُب عنكَ الحظُ»

لكنها غابت.. فغادرتُ محطةَ الرملِ وغادرتُ بعدها الإسكندريةَ بأكملَها.. ولم تغبْ عني أريانا، لم تغبْ.

# أنور «في الفصلِ»

رَاهنتْ مُدرستُهُ التاريخِ كلَ مَنْ عَرَفَ أن أنور هو الأولُ على الفصلِ أنه «يغشُ» في الامتحاناتِ، فطلبتْ من الناظرِ الأستاذِ «جمال» أن يُقيمَ له امتحانًا شفويًا ويمتحنُه بنفسِه، كانت الأستاذةُ «نحمده» تشعرُ بكرهٍ شديدٍ لـ«أنور» على الرغم مِن أنه مراهقٌ صغيرٌ لا يتعدى طموحُه أن يكونَ الأولَ على الفصلِ في المادةِ التي يُحبها «التاريخ»؛ لكن الزملاءَ «إبراهيم» و«كريم» كانا يَعلمان سببَ هذا الكرهَ، أنور كان يتحدى الأستاذةَ أمامَ الطلابِ، ليس فقط في التاريخِ لكن أيضًا في الحياةِ.

أستاذة نحمده: قوم اقف يا أنور.

أنور: حاضر يا أبلة.

أستاذة نحمده: أنت تاني هتقولي يا أبلة.. أنا قولتلك اسمي الأستاذة نحمده.

أنور: ما إحنا بنقول لكل الأبلوات يا أبلة.. بس حاضر يا أستاذة نحمده.

أستاذة نحمده: طيب قولي يا أبو لسان عاوز قطعه.. أسباب قيام ثورة عرابي.

أنور: أنتي يا أبله كل حصة تسألينى نفس السؤال.. أنتي ماتعرفيش غيره؟

أستاذه نحمده: أنت عيل قليل الأدب وأهلك ما عرفوش يربوك ولا أهلك مين بس! هو أنت حد عارف لك أهل.

أنور بثباتٍ شديدٍ: أنا برضو اللي قليل الأدب؟ ماشي يا أبلة نحمده بس ماتنسيش الكلام اللي قولتيهولي ده.

أستاذة نحمده: أنت بتهددني يا عيل يا اللي ملكش لازمة؟ أنت لازم تتفصل نهائي وتروح تشتغل مع أمك في البيوت، لتكون فاكر أنك هتنفع ولا هتبقى راجل محترم؟!

أنور بالثباتِ نفسِه: هبقى.. هبقى محترم وهتشوفي يا أستاذة نحمده يا محترمة.

أستاذة نحمده: إنجر قدامي يا عديم الرباية ع الناظر.. إنجر قدامي.

كانت الأستاذةُ نحمده كما يُطلقون على الفتياتِ اللاتي تأخرنَ في الزواجِ «عانس» وكانت أُمه هانم تُلقبها دائمًا بـ»البت نحمده العانس» فكان كل ما يحدث مع أنور من مضايقاتٍ بسبب أمِه هانم التي تُعاير نحمده وذويها بعدمِ زواجِ البنتِ الكبرى حتى بعد زواجِ أخواتِها الصغيراتِ، هذا أسوأُ ما ستُجده في الأريافِ، كلُ البيوتِ كأنها بيتٌ واحدٌ، لا أخبارَ مخفيةِ، لا خصوصيةَ، لا احترامَ للمشاعرِ الفرديةِ، الحياةُ في الريفِ كالحياةِ في شقةِ واسعةِ حوائطُها شفافةٌ تُسربُ الصوتَ والصورةَ والمشاعرَ، في القرى سوف يَملُكَك الاندهاشُ من سرعةِ انتقالِ المعلومةِ بينهم، لدرجةٍ

تَجعلُك تَشكُ أنها تنتقلُ عبرَ الذُبابِ أسرعَ من الإنترنتِ ودقيقةٌ مثل القنواتِ المحليةِ.

ناظر المدرسة: إيه اللي أنت قولته لأبلة نحمده ياض يا أنور؟

أنور: مقولتش حاجة يا أستاذ جمال.

أبلة نحمده: عيل كداب زي أمه وأبوه اللي محدش عارف له مِلة ولا اسم حتى..

الناظرُ مقاطعًا بشدة: أبلة نحمده ميصحش كده.. التزمي الأدب في حضرتي.

أبلة نحمده: آسفة.. آسفة يا أستاذ جمال.

أستاذ جمال: اتفضلي يا أبلة.. اتفضلي على الفصل وأنا هستدعيكي لما أحتاج كلامك.

أبلة نحمد: بعد إذنك يا أستاذ جمال.

وقف أنور يَنظرُ نظرةً تَنهشُ قلبَ نحمده؛ لكن الأستاذَ جمال يعرفُ القصةَ كاملةً ويتعمدُ أن يساعدَ أنور طوال مدةِ دراستِه في هذه المدرسةِ، كان الأستاذُ جمال يَملكُ قلبًا يَملئُه النورُ مما جعلَ أنور يختارُه الاستثناءَ الوحيدَ في هذه المدرسةِ القميئةِ، يستطيعُ أن يحكي له ما يُسرُه عن باقي البشرِ، ويُفصحُ له عن معاناتِه، كان يشرحُ له وهوُ بعمرِ الطفلِ،؛ لكن بمشاعرَ وألفاظَ الكهلِ، يشرحُ له أن المعاناةَ

هذه كلمةٌ عاديةٌ عنده كصباحِ الخيرِ، يشرحُ له أنه يفهم جيدًا الفرقَ بين المعاناةِ والابتلاءِ، والرجسِ الملتصقِ، كان يقولُ دائمًا «حتى لو أنا ابن حرام.. الحرام ده.. مش حرام عليا.. حرام على اللي عمل الحرام».

تعاطفَ الأستاذُ جمال مع كلِ حرفٍ يَنطقُه أنور، وكان يُدمع أحيانًا عندما يحكي له أنور عن مناماتِه التي يراها كأنها واقعٌ.

دائمًا ما كان الأستاذُ جمال يُدافع عن أنور، حتى قالت عنه الأبلةُ نحمده «شكله بتاع عيال» خصوصًا أن الأستاذَ جمال لم يتزوجْ فلم يُنجب، فانتشرت «التريقة» أو الإشاعةَ التي أرادت أن تُمررها أبلة نحمده من خلالِ «الهزار».

# المنامُ الأولُ

أنور: عارف يا أستاذ جمال أنا شوفت إيه؟

أستاذ جمال: شوفت إيه يا أنور يا ابني؟

أنور: شوفت الجاموسة بتاعة عم عاشور بس كانت أكبر من كده بكتير، وكانت راسها دهب وديلها دهب ولسانها كان بينقط دهب، كل ما تطلع خطوة على العِلوة تكبر أكتر، كل ما تطلع خطوة تكبر أكتر لحد ما بقت عند الجامع الكبير عند عم شحتر اللي طلع من الدكانة بتاعته في إيده سكينة كبيرة أوي قد السيف، لأ هي كانت سيف بس كبير أوي، وف ضربة واحدة طير رقبة الجاموسة، راسها اختفت في لمح البصر.. وفي ثانية واحدة الجاموسة رجعت زي الأول.. راسها رجعت وهي صغرت.. ومشيت لحد الجامع بس الحجر اللي قدام الجامع مكنش موجود وكان مكانه حفرة.. حفرة كبيرة.. اللي باين منها أن تحتها أرض كبيرة ومباني طويلة.. طويلة أوي لدرجة أن الجاموسة وقعت فيه ومشيت.. نزلت سليمة حتى متعفرتش مكنش في تراب، أنا في الحلم كنت شايف بعينها مش بعيني.. يعني أنا كنت شايف بعين الجاموسة مكنتش أنا موجود.. كأني كنت جواها، وأنا عرفت أني جواها لما وقعت في الحفرة بقيت شايف عمدان طويلة أوي محفور عليها رسومات وحروف مفهمتهاش.. زي اللي ف كتاب التاريخ، بس كان حواليا

من كل مكان تلج.. تلج في كل مكان.. وقعد التلج يكتر.. يكتر.. لحد ما غطى عين الجاموسة ومبقتش شايف حاجة غير نور أبيض وخرم صغير في التلج.. باين منه واحدة قاعدة كنت فاكرها أَمَه هانم بس وأنا بصحى في آخر لحظة في الحلم لقيتها مش هي.. شبهها بس مش هي.

# هانمُ

حامد: عطيات؟! إيه يا عطيات؟ كده يا عطيات؟! تسيبينا أنتي وأمك؟ تسبونا مع أبوكي العيان نشحت واحدة تعملنا لقمة ولا تخبز لنا رغيف أبوكي ياكله؟ إيه اللي جابك تاني؟ قوم غوري امشي من هنا.. ده أنا لو أمك مجبتنيش مرة وخلتني أشوفك مكنتش عرفتك.. إيه راجعة ليه دلوقتي؟ راجعة ليه بعد ١٥ سنة؟ راجعة عاوزة مننا إيه؟ غوري اجري من هنا.. غوري.

عطيات: أمك ماتت يا حامد.

حامد بتوترٍ شديدٍ: ما.. ما تموت.. ما هي ماتت من يوم ما هربت بيكي.. من يوم ما سابت أبوكي مرمي في فرشته في آخر أيامه ومات محسور عليها وعليكي.. ما تموت.. يعني هي كانت عايشة.. ماتت ربنا يجحمها مطرح ما راحت.. آآه وأنتي بقى جاية علشان مبقاش لكي حد في أي مطرح كان لاممكم.. ولا اللي أويكم رماكي لما ماتت؟

عطيات باكية: إيه؟؟ خلصت تقطيم فيا؟ اكتفيت تأنيب ولا عاوز تديني في جنابي شوية كمان؟ خلصت نأرزه وقلة قيمة؟

حامد بغضبٍ: قلة قيمة؟! ليه هو أنتوا تعرفوا إيه عن القيمة؟! ولا تعرفوا إيه عن الشرف؟! أنتوا لو كان أبويا الله يرحمه بيألكلم جِلة كنتوا استنيتوا لما حتى الراجل روحه

تطلع! أنتوا جوز نسوان فاجرة.

عطيات منهارة: طيب يا أبو الرجالة اعرف بقى أمك سابت أبوك ليه! أمك هربت لما أبوك طلب منها تروح لكامل باشا تشتغل عندهم..

حامد مقاطعًا: آه.. وعشان متشتغلش تهرب.. تهرب وتسيب الراجل الضعيف اللي ضيع عمره علينا يموت..

عطيات غاضبة: لا عشان أمك لما راحت عند كامل بيه مكنش عاوزها تقضيه هو وعياله.. كان عاوزها هي.. كان عاوزها هي يا حامد وأبوك بعتهاله.

حامد يصفعها: اخرسي.. اخرسي يا بنت وغوري من هنا.. أبويا أنا؟؟! أبويا أنا كان عاوز يسَّرح مراته؟؟ ماهو صحيح كلمها تلهيك واللي فيها تجيبه فيك.

عطيات صارخة: روح يا ناصح كده شوف في الغَلْق اللي أبوك كان بيشيل فيه الكمبيالات اللي كان بيكتبها على روحه.. هتلاقي آخر كمبيالة اللي أمك سبتهاله قبل ما تاخدني وتهرب.. شوفها وأنت تعرف أمك هجت ليه وسابتلكوا الدار باللي فيه.

حامد: كمبيالة إيه؟؟ أبويا مكنش بكتب على روحه حاجة.

ذَهبا سويًا إلى الدارِ القديمةِ المكانِ الذي كان به ذكرياتُهما كأطفالٍ، الذي حَوى أحلامهَما سويًا، كانت تَحلم

عطيات بأن تكون ممرضةً، وحلمُ حامد بأن يكون من مُلاكِ الطينِ في بلدِه، كانت أحلامهُما تتجمع في ساحةِ الدارِ ضيقةِ المساحةِ، الواسعةِ في عيونهِما، كانا يرحلان عن القريةِ بخيالهما، يتوقعان كيف هو «البندر» كانا يقولان على المدينةِ «مصر» وكأن الريفَ لا ينتمي لمصرَ التي في خيالهمِا، مصرُ التي تحوي الأفنديةَ والهوانمَ، الطرقَ المرصوفةَ، والشوارعَ الواسعةَ المرصوصةَ، الحياةَ التي تستمرُ ليلًا ولا تنتهي في التاسعةِ، الأجهزةَ الكهربائيةَ في المنازلِ، العيشَ الجاهزَ غيرَ المخبوزِ، الأكلَ في المحلاتِ في الشارعِ، كانت الأحلامُ بسيطةٌ والتخيلاتُ أيضًا بسيطةٌ، الكلامُ كلُه عن الملابسِ والطعامِ والتنقلاتِ، كانت هذه هي مصرُ التي يسمعونَ عنها.

في طريقهما، تذكر حامد يومَ مولدِ عطيات، كان يبلغُ من العمرِ ٥ سنوات، وكان والدُه يُصرُ على تسميةِ المولودةِ عطيات على اسمِ والدتِه، بينما كانتُ الأمُ مُصرةً على اسمِ «هانم»

الأمُ التي كانت تتمنى لأطفالهِا حياةً أفضلَ، كانت تبحثُ في كلِ الفرصِ عن فرصةٍ واحدةٍ تَنشلُ بها أسرتَها من الوحلِ الريفي الذي يعيشونَ فيه، كانت تبحثُ عن «خرمِ إبرة» تَعبُر منه بعائلتِها المنكوبةِ من «الخدمةِ في البيوتِ».

على عكسِ الأبِ المستكينِ الضعيفِ الذي كان يَرضى بحالِه كلِه طالما «الجوزة» في فمِه، كان يبحثُ فقط عن

مزاجِه، وكان في الغالبِ لا يعمل، فاختار لنفسِه أن يكون «واسطة» في أي عملٍ، ما يشبه حاليًا «السمسار» لكنه كان سمسارًا لأي شيء، عقارٍ، خدمةٍ، أو حتى شخصٍ، كان يجيدُ شيئًا واحدًا فقط وهو جمعُ المعلوماتِ، كان مركزَ المعلوماتِ الأكبرَ في القريةِ، كان يقولُ دائمًا «أنا أعرف الحامل قبل جوزها» وكانت هذه هي ثروتُه الحقيقيةُ، وظلَ هكذا ما بين التلصصِ والجوزةِ والاستدانةِ من كبارِ القريةِ، حتى تركتَه زوجتُه وهربت بابنتِه، وأصبح هو «سيرته على كلِ لسانٍ» فأصبح هو المعلومةُ بدلًا من أن يكون حاملَها، فلم يستطع التحملَ ومات بعدها بشهورٍ.

وصلا إلى الدارِ القديمةِ، وكلٌ منهما يحملُ من الدموعِ والحسرةِ والصدمةِ ما يكفي لملءِ بحورٍ، أخذا يبحثان عن هذه الورقةِ بجنونٍ هو يبحثُ حتى لا يَجدها وهي تبحثُ لتجدَها، يبحثان عن الشيءِ نفسهِ لكن بأهدافٍ مختلفةٍ، أو بأهدافٍ عكسيةٍ، هكذا البشرُ يبحثون عن الأشياءِ نفسهِا لكن لأغراضٍ متضادةٍ.

عطيات: الكمبيالة أهي يا حامد.

قالتَها عطيات بعد أن غلفَها الترابُ، بعد ما حول دموعهَا الجافةَ إلى صخورٍ على جفونهِا، لا يعلمُ أحدٌ منهما كم من الوقتِ استغرقت عمليةُ البحثِ، لكن انتهت رحلةُ الذكرياتِ هذه بصوتِ عطيات.

حامد: هاتي.. تعا وريني.

عطيات: خد.

حامد: إيه ده؟؟ يعني إيه الكلام ده؟

عطيات: يعني أمك راحت لكامل باشا وأبوك كان عارف وهو اللي موديها عشان تبيع نفسها وتشتري عمره.. تروح لكامل باشا ياخد اللي هو عاوزه ويديها الكمبيالة.

حامد: يعني أنتي أمك باعت نفسها لكامل باشا؟

عطيات: لا يا حامد أبوك اللي باعها.. أمك راحت وحطت سم لكامل باشا في الأكل قبل ما تقوله إنها راضية ياخد اللي هو عاوزه.. وقبل ما يتم اللي ف باله كانت عرفت مكان الكمبيالة وسابته يموت.. جت هنا وسابت لأبوك الكمبيالة وخدتني وهربت.. هربت علشان عرفت أنها هتخش السجن ومش بعيد أهل كامل باشا يموتوها قبل ما توصل حتى السجن.

حامد: لا.. أنتي خاطية زي أمك وبتكدبي عليا عشان تخليني أشوفها شريفة.

عطيات: لا أنت اللي التراب ملى عينيك وعاميك عن الحق ودغري عاوز تطلعني أنا كدابة عشان تعيش مرتاح.

حامد: مرتاح؟! هو عاد فيها راحة أنا مكتوب عليا العار.. يا عار أمي يا عار أبويا.

عطيات: ولو اتكتب علينا العار وإحنا صغار منقبلهوش وإحنا كبار.. كامل باشا مات ووراه أبوك.. وأمك أديها ماتت.. ومات معاهم سرهم.. وإحنا محدش يقدر يقول علينا حاجة.. أنت مفيش حد في رقبتك.. وأنا بطولي.. نشتغل ونعمل دار جديد ويكون لنا عيال وعزوة.

حامد: وأنتي هقول للناس إنك رجعتي ليه وأمتى؟

عطيات: الناس نسيوني وأنا مكتوبة هانم في ورق الحكومة مش عطيات.. قولهم إني أختك من أمك ورجعت لما ماتت هي وعطيات.. أنا كنت لحمة حمرة لما أمك خدتني وهجت.. محدش يعرف شكلي

# مذكرات د. عبدالعظيم

## الملفُ الثالثُ «حُبي»

كنتُ أتمنى أن يكون أبي هنا، بجانبي، أعلمُ أنه كان سيقفُ في صفي، سيُشدد من أزري، ويُعينني على الأقاربِ العقاربِ الذين يُخططون لطردي من نعيمهِم المزعومِ، رغم موتِه في سنٍ صغيرةٍ ٣٠ عامًا تقريبًا، ورغم أنني لم أَره في حياتي لمدةٍ طويلةٍ، فإنني ورثتُه بالكاملِ، فنهِ، عُنفوانِه، تمردهِ، حتى حبهِ للنساءِ ورثتُه أيضًا، لكن أريانا كانت النساءَ كلَهن، كانت سفينةً تحملُ كلَ النساءِ، كلَ الأنواعِ منهن، الشقراءُ الرقيقةُ، السمراءُ المتمردةُ، النحيفةُ الرشيقةُ، والممتلئةُ دفئًا، الفتاةُ العذراءُ التي يحمر خدُها من كلمةِ غزلٍ، والجريئةُ التي تستطيعُ أن تُفقدك عقلَك بكلمةٍ أو نظرةٍ أو فرصةٍ في لمسةٍ، كانت كلُ الفتياتِ والنساءِ، كانت الجدةَ الحكيمةَ عندما تسمع، والشريكةَ المُخلصةَ عندما تقع المشكلاتُ، والأمَ الصارمةَ عندما أقعُ في فخِ الكسلِ، والأختَ المُتغافلةَ عن أخطائي عندما أَتعمدُها، جمعتْ بين عفويةِ القريةِ، وسحرِ المدينةِ، واختلافِ العالميةِ، كان جمالهُا يونانيًا، وقلبهُا إسكندرانيًا، آآآه وما أدراكَ ما القلبُ الإسكندرانيُ، يَحملُ البحورَ في طياتِه، يشعرُ فيقررُ كألفِ عقلٍ، ويُعقلُ الأمورَ ويشعرُ بها بكلِ ما فيه من مشاعرَ، منتهى الاتزانِ ومنتهى العنفوانِ، قلبٌ كمدينةٍ ظلت كما هي ساحرةٌ منذ بِدءِ الخليقةِ.

أريانا: طيب وليه تدخل الحرب دي علشاني يا عبد العظيم.. إحنا نعرف بعض من شهور بس؟!

عبد العظيم: يا أريانا أنتي الحرب الوحيدة في الدنيا اللي مش هخسرها.. أنا خسرت حاجات كتير.. أنا سبت لهم ميراث والدي اللي كلوه وقبلوه على نفسهم.. سبت لهم أطيان وقصور.. بس مش علشان أنا ضعيف لا.. علشان كنت ساعتها طفل صغير وتحت وصايتهم.. وعلشان والدي مكنش مسجل كل أملاكه.. كان مآمن لهم ومكنش يعرف أنه هيموت في سن التلاتين ويسيبني أنا ابنه الوحيد.

أريانا: لكن أنا بشفق عليك يا حبيبي حاسة إني حِمل.. حاجة تقيلة أنت شايلها فوق ضهرك.

عبد العظيم: وأنا مليش قيمة ولا تمن من غِير الحمل ده.. عارفة أول مرة شوفتك كان والدي بقاله كتير أوي مزارنيش في منام.. يوم ما شوفتك ورجعت لبلدنا.. وحسيت أن المسافة بينك وبيني مستحيل تبقى قصيرة.. وبدأت أيأس من وجودنا سوا.. جالي والدي في منامي.

أريانا: وقالك إيه؟

عبد العظيم: قالي «إياك تغيب.. فيغيب عنك الحظ».

أريانا: دي الحكمة اللي أنا كان بابا قبل ما يموت كاتبها على الكشك بتاعنا.. إزاي ده حصل؟ إزاي؟!

عبد العظيم: أهو علشان الرسالة دي لما رجعت إسكندرية ولقيت الكشك مهدود أخدت الخشبة اللي عليها الجملة دي وصممت أني ألاقيكي ولفيت عليكي إسكندرية حارة حارة لحد ما لاقيتك واقفة ع البحر.. أنا مغبتش يا أريانا يا حظي الحلو.

أريانا: أنا بحبك أوي يا عبد العظيم.

عبد العظيم: وأنا هتجوزك يا أريانا.

# بدايةُ النهايةِ

منذُ أن أَتت هانم إلى القريةِ وهي واضحةُ الملامحِ، سواء الجسديةِ أو الشخصيةِ أو النفسيةِ،

فكانت امرأةً تحملُ جمالًا لا يَخلوُ من الشرِ، فهل هناك جمالٌ يحملُ شرًا؟ نعم، جمالُ هانم كان يحملُ الكثيرَ من الشرِ، كانت عيناهَا تتكلم.. كانت تُعبرُ عن لَغوِها بحاجبِيها، مصمصةُ شفتيها تُعلن عن رأيها دون أن تتفوه بكلمةٍ، إذا أرادت رجلًا أتت به ودون مقدماتٍ تركته أو فضحته، دون أن يلمسَها أحدٌ، لكنها كانت تَشعرُ بلذةٍ ما عندما تَكِسر هؤلاء الرجالِ، وبالأحرى تَكِسر عيونَ زوجاتِهم.

شخصيةُ أميلُ إلى الشرِ، ترى في الأحداثِ الأجزاءَ السيئةَ وتأخذُ على أساسِها قرارتِها المتسرعةَ الخاطئةَ، وتعتمدُ على أن الناسَ لا تَنتظرُ منها إلا الأخطاءَ، فإذا شكرتَها إحداهُن رأيت في عينيها استهزاءً تستحقُ عليه السبَ واللعنَ والمعايرةَ على أيِ شيءٍ، كان سلاحُ المعايرةِ أحدَ أهمِ أسلحتِها التي تُطلقُ منها رصاصَ اللسانِ المؤذيِ المرعبِ لمعظمِ السيداتِ اللاتي يخشون أن يَكُنَ على خلافٍ معها، كانت ترى في المُتعلمةِ كبيرةِ السنِ أنها «عانس» وفي الرجلِ المريضِ أنه «عاجز» وفي الطفلِ الضعيفِ أنه «هفأ» وفي الشابِ المؤدبِ نظيفِ اللسانِ أنه «خِيخَا»

في النهايةِ لن يسلمَ أحدٌ من لسانِ هانم.

كان ذلكَ برمتِه نتاجَ القصةِ الوحيدةِ التي أثرت على نفسيةِ هانمِ، قصةُ «أم هانم» المرأةُ الشريفةُ العفيفةُ المُضحيةُ المظلومةُ التي أكلَ أهلُ هذه البلدةُ من لحمِها حيةً وميتةً، فكان كلُ ذلكَ بمثابةِ انتقامٍ يَليقُ بما فَعلوُا.

لم ينجُ أحدٌ من هانم ولا لسانِ هانم ولا نفسيةِ هانم، إلا هُو «عبدُ العظيم».

حامد: لا يا هانم.. القصر تاني لا يا هانم.. مشوفناش منه إلا الخراب وقلة القيمة والشتات.

هانم: قصر إيه يا حامد؟! هو عاد قصر؟ ده فاضل لعبد العظيم بيه ينزل ضحوية وعصرية وياخد أجرة مع العيال والنسوان، لولاش بس شوية الملك والطين اللي سايبهوملهه أبوه وهو عايش من ريعهم.

حامد: طب لو هي الحكاية كده عاوزة منه إيه يا بنت أبويا وأمي؟

هانم: عاوزة حق أبوك وأمك يا حامد.. عاوزة أذله وأسففه التراب زي ما أمي عاشت وأبوك شاف المُر وبلعه في حلقه بإيد أبوه كامل باشا.

حامد: يا هاانم.. يا هانم إغزي الشيطان اللي راكبك ده وهيودينا ف داهية.. يمين بعظيم يا هانم أنتي هتودينا

اللومان وهنلاقي عساكر النقطة جايين ياخدونا من قفانا ع النقطة ومنها ع المركز والمحكمة.

هانم: لييييه؟؟ هو أنت فاكرني زي أمك؟ هروَّح اسم عبد العظيم زي أبوه.

حامد: اسكتي.. اكتمي خالص لحد يسمعنا الله يخربيتك.

هانم: محدش هيسمعنا يا حامد.. أنا عاوزاك أنت اللي تسمعني.. عاوزاك تسمعني وتفهمني وتوعى للي بقوله وتنفذ معايا اللي هنجيب بيه حقك أمك وأبوك.. ونتنغنغ ونقب على وش الدنيا.

حامد: عاوزة تعملي إيه يا هانم؟

هانم: عاوزة عبد العظيم يحبني.. هو وحداني ومش متجوز وواخد على بنات مصر مش علينا.. وأنا مفيش ضهر جاب بت في جمالي ولا حلاوتي فيكي يا بلد.. عاوزاه يغواني وميقدرش يستغنى عني.

حامد: وهنعمل كده إزاي؟ عاوزاني أروحله وأعمل زي أبوكي وأقوله خد أختي حلوة ونغشة وهتدلعك؟ عاوزاني أبقى بقرون يا هانم؟

هانم: قطع لسانك.. أنا عاوزاه بالحلال.. عاوزة أبقى مرات البيه.. وعندي خدم أأمر وأنهي فيهم.. إحنا مش

هنعيش خدامين تاني يا حامد.

حامد: عاوزاني أعمل إيه يا هانم؟

هانم: وديني الفيلا بس وسيب الباقي عليا أنا.

كيف سيفعلُها حامد؟ هل سيوافقُ على ما تطلبه أختُه؟ هل سيبيعُ عقلهِ لشرهِا؟ في النهايةِ حامد شخصٌ تابعٌ، كان يتبعَ والدَه في الخطأِ قبل الصوابِ، كان يتبع صديقهَ الوحيدَ حتى ماتَ صديقُه، فأصبح منحازًا للوحدةِ والانعزالِ، يَظهرُ لك حامد كزاهدٍ لا يرغبُ شيئًا من الدُنيا، والحقيقةُ أنه أشدُ الراغبين في الدنيا، لكنه شخصٌ خائفٌ دائمًا، خائفٌ من الزمانِ، خائفٌ من الأشخاصِ، خائفٌ حتى من هانم، لكنه يُعولُ دائمًا على أنها تُحبه، ولن تُؤذيه كما تُؤذي باقي أهلِ القريةِ.

عبد العظيم: إيه يا حامد فين البنت اللي قولتلي هتيجي تساعد الست عزيزة؟ الست كبرت وبقت مش مركزة.

حامد: والله يا عبد العظيم بيه أنا بدور على واحدة أمينة وكويسة ومش لاقي.. مفيش غير بس.. لا دي مش هتنفع مع حضرتك.

عبد العظيم: مالك يا حامد؟ مين اللي مش هتنفع دي ومش هتنفع ليه؟

حامد: أصل يا سعادة البيه حضرتك ممكن تفكر أني

بزكيها علشان اللي بيني وبينها يعني.

عبد العظيم: بينك وبينها.. ده أنت طلعت نمس ومقطع السمكة وديلها وعامل غلبان وزاهد يا حامد.

حامد: لا.. لا يا عبد العظيم بيه.. ولا والله دي أختي.. أختي من أمي.

عبد العظيم: آآه طلمتك أنا يا حامد.. دي أختك اللي كانت أمك مشيت بيها؟

حامد: إيه؟؟.. لا.. لا يا بيه.. دي أختها من أمها ولما أمي وعطيات ماتوا الناس اللي أمي موصياهم دلوها على مكاني وأهي جت قعدت معايا في العشة اللي أنا فيها في الأول.. ووديتها الدار القديمة.. البت يا عبد العظيم بيه خلته جنة في ظرف يوم.. لا وعليها شوية طبيخ يرموا العضم.

عبد العظيم: أمال بتقول ليه متنفعش؟

حامد: علشان معندهاش أي ورق.. جاية من بلدهم يا مولايا كما خلقتني.

عبد العظيم: وأنا برضو هضمن أختك بورق يا حامد؟ أنت متربي هنا.. يلا يلا خليها تيجي من بكرة تستلم الشغل وهنعملها شهرية كويسة.. وممكن كمان تبات مع الست عزيزة.

حامد: الله يبارك لك يا بيه ويعلي مراتبك كمان وكمان.

كانت هذه هي الخطوةُ الأولى نحو القصرِ الذي كان يطلقون عليه القصرَ من بابِ العادةِ، كان حامد يشعرُ بالخوفِ، لكن ثقةً هانم نقلت له بعضَ الثقةِ، فهي تتكلمُ كأنها ترى المستقبلَ، تشعرُ أن أحلامَهَا حقٌ، لا يبقى لها سوى أن تذهبَ لتأخذه بقوةٍ، وقوةُ المرأةِ في مكرهِا، في قرارهِا، فإذا قررت أن تمكُر فعليك بالدعاءِ للهِ أن يكونَ هذا المكرُ لصالحِك وليس عليك، وإن كان عليك، فعليك السلامةُ.

# مذكرات د. عبدالعظيم

## الملفُ الرابعُ «كبر الحُب»

عبد العظيم - تعرفي يا أريانا لولا أن أنا عايش من الأرض وشوية الملك اللي أبويا الله يرحمه سايبهوملي كنت سبت كل حاجة وجيت عشت هنا في إسكندرية، نفسي أعيش جنبك.. نفسي الدنيا تتلخص في حضنك وأنا بخرج من حضنك أدخله تاني.. وأفضل في الدايرة دي لآخر العمر.

أريانا: اللي بيسيب أصله بيتعب يا عبد العظيم.. أنا اللي أنا فيه ده علشان بابا وجدو سابوا حياتهم في اليونان.. فجأة بقيت لوحدي.. بعد حادثة خدتهم هم الاتنين وسابتني لوحدي.. اللي شوفته كتير أوي علشان أنا بعيد عن بلدي.. ومش عارفة لو رجعتلها هرجع لمين.. مش عارفة ساعتها هبقى برجع لبلدي.. ولا بسيب بلدي.. حاجة وحشة أوي لما تبقى حاسس أن كل الأماكن غربة.

عبد العظيم: لأ.. ترجعي فين؟! أنتي مكانك هنا.. هنا في قلبي ومعايا.. هنا بقى أو في بلدنا.. المهم أن إحنا لبعض ومع بعض.

أريانا: أرجوك يا عبد العظيم لو كنت بتلعب بيا كفاية كده.. أنا مش حمل تلطيش تاني من الدنيا.. أنا مولودة هنا لكن مليش حد.. مليش أصحاب غير البحر.. البحر اللي برمي فيه همومي.. الوحيد اللي بكلمه ويرد عليا.. بيرد

عليا كأنه بابا الله يرحمه.. بابا اللي أصر يخليني مسلمة علشان أنا هعيش في مجتمع مسلم هو عاش فيه ومشفش فيه غير كل خير.

عبد العظيم: دي أحلى حاجة أبوكي عملها بعد أنه خلفك طبعًا.. أبوكي ده حل ليا كل مشاكلي.. أنا بحب أبوكي أوي يا أريانا .. بحب أبوكي وبحب أمك وبحب البحر ده والرمل والسما والهوا.. أنا من يوم ما شوفتك ولمست إيدك وأنا بحب كل حاجة حواليا.. عارفة أنا حاسس أني أقدر أتحول أي حاجة إنتي بتحبيها.. ممكن أبقى ملوخية مثلًا.. أو قصيدة شعر.. أو حتى مكان بتحبيه.. أنا علشان حبك ممكن أعمل أي حاجة.

أريانا: أنا بحبك أوي يا عبد العظيم.

عبد العظيم: أنا مش عارف إذا كان في حاجة أكبر من بحبك؟! أنا مش عارف إذا كان في حاجة أكتر من الجواز ممكن أعملها علشان أثبت لك حبي؟! أنا مش عارف تصدقيني إزاي؟

أريانا: مصدقاك.. بس خايفة.. أنا كنت عودت نفسي على قلة الفرحة.. وبقيت مكتفية بشوية الأمل اللي باخدهم من الورد اللي بشوفه الصبح أو ابتسامة طفل بديله حاجة حلوة فوق البيعة.. اكتفيت بالحاجات الصغيرة.. وعملت نظام لقلبي ميحلمش بأكتر من كده.. ولو كان عملها كنت

بعاقبه بالألم علشان ميعملش كده تاني.

عبد العظيم: متخافيش طول ما أنا عايش.. أنا هنا علشان أنتي تطمني.. أنا حاسس أن ربنا خلقني علشانك وبس.. مكنتش لاقي سبب لوجودي.. وعرفت.. عرفت أنه علشانك.

أريانا: ربنا يخليك ليا.

عبد العظيم: طيب بصي يا ستي.. بصي الرسمة الحلوة دي.. أنا والله رسمتها من ذاكرتي.. كنت طول ما أنا برسم حاسس بوجودك جنبي.. والله كنت شايفك.

أريانا: الله.. الله يا عبد العظيم.. دي حلوة أوي.. أنا أول مرة حد يرسمني.. بقى أنا جميلة كده؟؟ أنت غشاش بتغش اللي هيشوفوا الرسمة وبتضحك عليهم.. أنا مش جميلة كده.

عبد العظيم: أنتي أجمل ألف مرة.. وبعدين مين اللي هيشوف الرسمة؟ مفيش حد هيشوفها غيرنا إحنا وولادنا إن شاء الله.

أريانا: ها وهتفضل تحبني وترسمني كده بعد الجواز والخلفة؟؟

عبد العظيم: طيب أوعدك أني هحبك أكتر.. أقولك.. والله والله لما نتجوز أنا هعملك تمثال.

أريانا: يا سلاااام.. لا يلا نتجوز بقى علشان عاوزة أشوف التمثال.

عبد العظيم: علشان التمثال بس؟!

أريانا: لا علشان أشوفك كل يوم.. مش كل أسبوع ولا شهر.. بتوحشني يا عبد العظيم.

عبد العظيم: أوعدك مش هوحشك تاني.. شهور وتبقي في حضني للأبد.

# لعنة هانم

لم تتزوج الأستاذةُ نحمده حتى الآن، على الرغمِ من مرورِ مرحلةٍ تعليميةٍ كاملةٍ على أنور، بل وقاربت المرحلةُ الثانويةُ على الانتهاءِ، انتقل أنور إلى مدرسةٍ أخرى، لكنه كان دائمَ الزياراتِ للأستاذِ جمال، لذا كانت تَراه نحمده، ترمي عليه الكلماتِ المهينةَ، تُكرر ذلك في كل مرةٍ تعمدت إهانته وجَرحه في كلِ مرةٍ، كان يَشكو للأستاذِ جمال، ويحكي في بعضِ الأحيانِ لأمِه هانم، ونحمده ترى أن هانم هي السبُب في أنها تأخرت في زواجِها ٥ سنواتٍ إضافيةٍ، كانت ترى أن هانم صنعت لها سِحرًا لتأخِيرها في الزواجِ، ولا مجالَ أمامهَا للانتقامِ منها إلا في أنور.. أنور هو الشيُء الوحيدُ الذي سوف يَحرق قلبَ هانم، إن كان بداخلِها قلبٌ.

هانم: أنا هعملك عمل ليكي انتي يا بت؟!! يا بت الرجالة بتهرب منك.. ريحتك جايبه آخر الدنيا

نحمده: اتلمي يا ولية إنتي.. هو إنتي محدش عارف يلمك.. أنا مش هرد عليكي علشان أنا متعلمة ومدرسة كمان.. مش خدامة في البيوت.

هانم: لا أنتي مش هتردي عليا عشان منسلش عليكي الشبب.

نحمده: ربنا ينتقم منك يا شيخة.. إنتي اللي موقفة حالي.. ربنا هيردهولك في ابنك إن شاء الله.. ده لو كان

ابنك يعني ولو كان راجل مش بيروح لأستاذ جمال البيت.. الله أعلم بقى بيعمل فيه إيه؟؟

هانم: لاااا.. ده لو جبتي سيرة الأستاااذ أنور سيد الرجالة على لسانك تاني هعمل فيكي اللي عمرك ما تنسيه.. وحياة أمك وأبوكي الراجل الخردة اللي جوه ده.. لو جبتي سيرته تاني ولا وقفتيله في طريق لكون مندماكي.

نحمده: والله لسقطهولك في المدرسة وأخليه فاشل زيك.

هانم: كده.. أنتي اللي جنيتي على نفسك.

كان هناك إجراءٌ بشعٌ تقوم به هانم مع النساءِ اللاتي يَقفن في طريقِها للنهايةِ، اللاتي لا تستسلمن بسهولةٍ، وقررت أن تُفعله هذه المرةَ مع نحمده بمساعدةٍ بعضهن اللاتي يعملن معها في هذه الأعمالِ، وكانت هي الأخرى تَرد لهم ذلك «الواجب» في أوقاتٍ أخرى يَحتجن له فيها، أمسكت هانم بنحمده وأدخلتها لدارِها بمنتهى الجبروتِ، جرتها من شعرِها الخشنِ الذي أَخرجته لها من «التحجيبة» كما يُسمونها، وهي شيءٌ ما بين الحجابِ والطرحةِ، جرتها من شعرها الذي كان يتساقطُ على الأرضِ، وسلَمتها لأربعةِ نساءٍ لا تَمتُ واحدةٌ منهم للنساءِ بشيء، يَمتلكن أخشنَ كفوفٍ في هذا العالمِ، مجردُ السلامِ عليهم يعتبرُ عقابًا، وُجُوههن يحملن من الشعرِ ما لا يحمله بعضُ الرجالِ، إحداهن فاقدةٌ لعينِها اليمنى، والأخرى تَحملُ من الحروقِ ما يحمله الذرةُ

المشوي على «الأوالح»

أمسكن بها وجردوها من ملابسهِا دون قطعها عن قصدٍ، أتت هانم بالبهارات الأشهر «الشطة» وأخذت تَضعها في كلِ الأماكنِ الحساسةِ لنحمده، وهي تصرخ وتصرخ وتتوسل لها، وتَعرض عليها أن تُقبل يدهَا، وهانم لا تسمع شيئًا ولا تقول شيئًا إلا عن «أنور» تُذكر نحمده بما قالته عنه، تَضربها على فمهِا وتدسُ فيه الشطةَ، ثم ذهبت لكلِ الأماكنِ الحساسةِ تدسُ فيها الشطةَ بكل عنفٍ واستمتاع بأن نحمده الآن تَنكسر شوكتُها، تلك الفتاةُ الصغيرةُ التي تقفُ لهانم في شارعهِا الذي تُسيطر عليه بلسانِها، كانت النساءُ تضع يدهَا على فم نحمده حتى لا يَسمع أحدهُم صراخَها، ولما انتهت هانم من ذلك الشرِ اللعينِ، وضعت من الشطةِ على ملابس نحمده الداخليةِ، وجعلتها ترتديها حتى لا تخرج عاريةً أمام الناسِ، كانت نحمده تلبس ملابسهَا وهي متألمةٌ حدَ السماءِ، تبكي بكاءً يرج الأرضَ من حرقةِ دموعِه، كانت لا تنظرُ في عينِ هانم، لا تستطيعُ الرؤيةَ بوضوح، كانت تتمنى اللحظةَ التي تَصل فيها لبيتهِا حتى تخلعَ عنها هذا الغطاءَ من الجحيمِ، هذه النارُ التي في جسدهِا- سبقتها نارُ إلى قلبِها، الحسرةُ التي دقت في قلبِها، كانت تدقُ كلَ ثانيةٍ لكن بمضاعفِة الألمِ.

خرجت نحمده تجري، تلهثُ إلى دارِها، حتى تخلعَ ثيابَ النارِ، لم تستطع أن ترتمي في حِضنِ أُمهِا، حتى لا تشركها

معها في نارِها، قررت نحمده ألا يَعرف أحدٌ عن هذا الذلِ حتى أبيِها وأمهِا، خلعت الثيابَ ودخلت إلى حمامهِا المتهالكِ، أخذت تسكبُ وتسكبُ على نفسهِا المياه، وتشعر بأن النارَ تزيد؛ لكنها كررت هذا عشراتِ المراتِ، حتى رأت جسَمها كله يتحول للونِ الدمِ، فتوقفت ونظفت نفسَها من بقايا الظلمِ الذي تعرضت له، وقامت تتحسسُ الأرضَ، فكأنها تمشي على شوكٍ حافيةً، وتعطسُ بين الثانيةِ والأخرى، من حظهِا لم يكن هناك أحدٌ في البيتِ سوا والدهَا العجوز الذي لا يشعرُ بشيءٍ، حتى إنه يقول عندما سيأتي الموتُ لن أشعر به، ظلت نحمده في غرفتهِا تُلملم هذا الألمَ اللعينَ، خائفةً من الخروجِ لمدةِ شهر، تأكلُ ما يُحي، تتكلم ما يؤكد أنها ما زالت قادرةً على الكلامِ، لا تحيا ولا تلمس مشاعرهَا شيٌء سوى الرغبةِ في الانتقامِ التي يُكبلها الخوفُ المميتُ.. فهى كانت تخافُ من أن حتى تَظهر أمامَ أعينِ هانم، وعندما بدأت الدراسةُ اضطرت نحمده للخروجِ، ورأت أولَ ما رأت «هانم» كأنها منتظراها في المكانِ نفسِه منذ فعلت بها فعلتَها، تجاهلتَها نحمده، فتوجهت لها هانم وعينيُها كلهُا فرحةٌ.

هانم: صباحية مباركة يا عروسة.. إيه مبسوطة؟؟ خفيتي ولا العريس كان غشيم؟

نحمده: ابعدي عني.

هانم: هبعد عنك لو بعدتي عن أنور وشيلتيه من دماغك

إنما لو جيتي يمته ولا نطقتي باللي قولتيه

ده تاني.. هخليه النوبة الجاية يعمل كده هو ويعرفك إنه راجل.. وأنتي عارفة هيعرفك إزاي.

نحمده: أنا ولا ليا دعوة بيكي ولا بابنك ولا بأي حد سيبيني ف حالي بقى.

هانم: سبتك ف حالك يا بت يا نحمده يا بايرة.

نحمده: شكرا عاوزة مني حاجة تاني؟

هانم: لا خلاص روحي المدرسة يمكن مدرس يعشقك ولا حاجة ويجي يطلبك ويسألني عليكي.. متخافيش مش هقول إنك ردية ومنحسة.. هقول إنك حلوة وإن شوفت الحلاوة دي بعيني اللي يهاكلها الدود.

نحمده: شكرا.. أنا ماشية.

# المنام الثاني

الأستاذُ جمال هو العائلُ الوحيدُ لأحلام أنور، كان يعرف أن الولدَ بداخله طاقةٌ ليس من السهلِ أن يتم السيطرةُ عليه، إذا تم توجيهُه ستكون حياتُه ملونةً بألوانِ النجاحِ، الأستاذُ جمال الذي عَرَفَ في تجربةٍ لا يعرفُ عنها شيئًا إلا الشابُ أنور، كان قد عرفَ أنه لن يَنجب، لن يكون له سلسالُ في هذه الدنيا، بعد موتِه لن يتذكره أحدٌ، لن يقول اسمه أحدٌ، لن يبكي عليِه شخصٌ من ألمِ الفراقِ، من الجائزِ أن يكون هناك بكاءٌ من بابِ الشفقةِ والعطفِ، لكن لن يكون من بابِ الفراقِ، شعورٌ حزينٌ أنه لن يبكي أحدٌ على فراقكِ، كأنك لم تكنْ موجودًا، هواءٌ نفخهُ أحدُ المدخنين، غيَّر صفاتِ الهواءِ وأضاف له رائحةً كريهةً لن يندم أحدٌ على فراقِه، كان أملهُ الذي رآه في أنور كبيرًا، أحبه أنور كوالدِه، لا بل أكثر من والدِه، كان أنور يفخر بأبيِه الأستاذِ جمال أكثرَ من أبيِه الذي لم يُورثه إلا العارَ.

كان أنور يعشق التاريخَ، كما زملاؤه إبراهيم وكريم، الذين أطلقوا على أنفسهم لقبَ «عصابةُ التاريخِ» لأنهم كانوا يسرقون دائمًا المراكزَ الثلاثةَ الأولى على المحافظةِ في مادةِ التاريخِ، الفارقُ بينهم كان نصفَ درجةٍ على الأكثرِ إذا حدثَ هذا الفارقُ؛ لكنَّ أنور كان أكثرهُم عِشقًا، وأكثرهُم دعمًا من الأستاذِ جمال، كان يُدعمه الأستاذُ جمال من خلال المدرسين الزملاءِ في المدرسةِ الثانويةِ، الذين يُشركون أنور

في مجموعاتِ التقويةِ والدروسِ الخصوصيةِ دونَ مقابلٍ من أجلِ الأستاذِ جمال.

أنور: ما أنا ابنك يا أستاذ جمال.

جمال: زي ابني.. ياما نفسي كنت تكون ابني فعلا يا أنور.. وأنا شباب كنت بحلم بعيل زيك.. طاير والدنيا طايرة وراه.. مكنتش بحب العيال اللي بتسمع الكلام.. العيال المستكينة دي.. وعشان أنا بحب التاريخ فأنا عارف أن الناس العادية دي مبتبقاش مميزة.. اللي بيعافر هو اللي بيوصل.. العيال الشقية اللي زيك بيبقوا مميزين.. كان نفسي في عيل زيك يا أنور.

أنور: والله أنا بحس أنك أبويا.. وكنت أتمنى والله يا أستاذ جمال تكون أبويا.

جمال: في فرق كبير يا أنور بين الحقيقة وكلمة «زي» كلمة «زي» دي سور بنستخبى وراه من الحقيقة.. تلاقي البنت تقول للولد بحبك زي أخويا.. والمعنى الحقيقي أنا مبحبكش.. أو صاحب يقول لصاحبه أنت زي أخويا.. والمعنى الحقيقي أنا محتاجك جنبي متسبنيش.. أو أنا أقولك أنت زي ابني.. والمعنى الحقيقي أني مبخلفش.. بس الحق يتقال.. أنت عيل جدع.. سابق سنك.. بتعرف أحيانًا تحسسني أنك ابني فعلًا وفيك مني.. أنت شاطر يا أنور.. ميحبش التاريخ غير واحد خياله حي.. وقلبه

صاحي.. وضميره مليان خير.

أنور: تلميذك يا أستاذ جمال.

جمال: أهي دي حقيقة.. وحقيقة حلوة كمان.

الأستاذُ جمال كان المعنى الحقيقيُ للتصالحِ مع الذاتِ الاستسلامِ للقدرِ دون نقمٍ أو حنقٍ على قدرِه، قرر أن يرثَه أنور، فكتب باسمِه المنزلَ والحقلَ الصغيرَ وكل مَا يملك من تاريخٍ سواء كتبٍ قرأها أو أوراقٍ كتبَها، شعر بذلك أنه سيمتَد ويبقى تاريخُه قائمٌ، مع شخصٍ يعشق التاريخَ مثلَه، ويعتبره «مِثل ابنِه».

أنور: ربنا يجعل حياتك كلها حلوة يا أستاذ جمال.. نستني أنا كنت جاي أحكيلك إيه.

جمال: كنت جاي تحكي لي إيه يا أنور.

أنور: جاي أحكيلك منام يا أستاذ جمال.

جمال: إيه حكاية الأحلام معاك؟ وليه بتقول منام زي أمك هانم كده؟ أنت متعلم.. أنت تقول حلم.

أنور: حلم يا أستاذ جمال حاضر.. بس المرة دي الحلم كان متعب أوي.. قمت منه جسمي كله واجعني كأني كنت بجري فيه بجد.

جمال: احكي لي.

أنور: كأنه كان تكملة للحلم اللي فات.. فتحت عيني وأنا جوه الجاموسة.. بدأت أدقق في الست اللي كنت فاكرها أَمَه هانم.. واتأكدت أنها مش هى بس أو ما قربت عليها.. قامت جريت بسرعة أوي.. بسرعة مكنتش متخيل أني أقدر أوصلها.. قعدت أجري.. أو بمعنى أصح الجاموسة بتجري.. بس أنا حاسس أن أنا اللي بعمل المجهود ده كأني أنا هى.. بس أنا عارف أني جواها.. وفجأة طلعت جناحات للجاموسة وطرنا في السما.. والست دي بصت لي وفضلت معلقة نظرها عليا لحد ما اختفت عن نظري بقت صغيرة أوي.. نقطة.. نقطة وأنا شايفها من فوق، ببص قدامي لقيتنا جوه سحابة.. ندخل من سحابة ونخرج من سحابة.. لحد ما لقيت سحابة بسلالم.. ومرة واحدة بقيت أنا اللي ماشي وببص ع الجاموسة لقيتها طايرة وماشية بعيد.. بقيت حاسس أني عاوز أطلع على السلم بس خايف أقع وبفكر هرجع إزاي؟ هرجع إزاي والجاموسة سابتني وطارت، طلعت أول سلمة.. اختفت.. بصيت ورايا ملقتهاش.. كل ما أطلع سلمة تختفي.. لحد ما لقيت باب.. بس باب من السحاب.. حطيت إيدي فيه.. اتسحبت بقوة وبسرعة مش قادر حتى أوصفهالك.. خفت.. خفت أكون هموت وأنا لسه صغير.. لقيت إيد بتطبطب عليا يا أستاذ جمال.. وبتطمني.. الإيد دي.. كان فيها نفس الخاتم اللي أنت بتلبسه.. هو اللي ف إيدك ده بالظبط.. كان مرسوم عليه نفس الرسم.. عقرب .. لكن العقرب اللي كان في الخاتم

اللي طبطبت عليا كان صاحي.. كانت رجليه بتتحرك في الخاتم.. بس كانت عنيه بتضحك.. عقرب بس عقرب ميخوفش.. سرحت جوه العقرب.. وفجأة نط على عيني .. كنت فاكره دخل جوايا.. بس بعد شوية فهمت أن أنا اللي دخلت جواه.. وبقيت بشوف بعينه هو.. وأول ما فهمت شوفت أول حلم قدامي بيمشي بسرعة كأن في حد بيجريه.. خلص كله في دقيقة واحدة.. وبعد ما خلص بقت الدنيا كلها ضلمة.. بس العقرب كان بيمشي مش واقف.. بيمشي على حد نايم.. مش إنسان لا.. تمثال.. كان زي التمثال بالظبط.. ومرة واحدة.. جه واحد فتح حاجة والنور دخل من كل ناحية.. الحاجة دي كانت تابوت.. واللي فتح ده كان شبه الفراعنة.. وبص للعقرب وضحك.. وفي ثانية واحدة نط العقرب دخل ف عينه.. وأنا صحيت مفزوع وحاسس أني بقيت جوه الراجل ده أو هو بقى جوايا أو أنا وهو بقينا جوه العقرب.. مش عارف.. مش عارف.

# الدخولُ

عبد العظيم محدثًا نفسه: أول مرة ألاقي نفس عاوز حاجة بجد.. عاوزها هي وبس.. قبل كده.. كانت كل حاجة بعد بس.. هي حلوة بس مغرورة.. هي مثقفة بس فلاحة.. هي حلوة ومثقفة بس دمها تقيل.. كل حاجة بعدها بس.. إلا أريانا .. هى الوحيدة اللي بعدها «وبس» أريانا وبس.. مش عاوز حاجة تاني.. الموضوع مش محتاج كمالة.. هي كاملة مكملة.. زي ما يكون ربنا حاطتها نموذج باقي البنات تمشي عليه.. وكل واحدة تاخد منه صفة أو حاجة حلوة.. علشان تبقى حلوة.. فما بالك بقى بيها.. يعني أنا أستاهل القلب والروح والطهر ده كله؟ أنا خايف يا رب تكون بتعلقني بيها علشان تحاسبني على كل غلطاتي اللي فاتت.. على كل بصبصتي للبنات وعلاقاتي اللي مكنش ليها حل.. خايف تكون بتعلقني بيها علشان تحسسني بقلوب البنات اللي علقتها وسبتها.. أو الستات اللي خليتهم مش راضيين باللي متجوزينهم بعد ما عرفوني.. أنا عارف أني بغلط.. بغلط كتير.. من أول ما كنت طالب وأنا ببص للمدرسات لحد ما كبرت وبقيت صاحب الملك وبستغل بنات القرية.. بس والله والله ما هعمل كده تاني.. والله هخلص لها.. وقلبي يوم ما هيبطل يحبها.. هيبقى وقف وأنا ميت.

حامد مقاطعًا: عبد العظيم بيه.. عبد العظيم بيه.. ده إيه

دي؟ أنت فين؟ بقالي حبة بنده عليك.. اللي واخد عقلك يتهانبه.. ها.. رسمة جديدة ولا تمثال ولا تكونش غرام جديد.

عبد العظيم: مشكلتك يا حامد أني كبرت لقيتك هنا.. فشوفتني وأنا صغير واتربينا سوا.. مشكلتك أنك عارف كل حاجة.. عارف يا حامد اللي بيبقى عارف كل حاجة بيحصل فيه إيه في الآخر؟

حامد: أيوه عارف يا عبد العظيم بيه.. بيموت باللي هو عارفه.. لأنه ميستجراش يطلع كلمة بره خشمه.

عبد العظيم: طول عمرك لئيم ومتتغلبش في الكلام.. دوغري لميت الموضوع.. لؤم فلاحين.

حامد: مالهم بس الفلاحين يا عبد العظيم بيه.. طب أنا دا أنا جبت معايا هانم اللي قولت لحضرتك عليها.

عبد العظيم: طيب كويس والله هي فين؟

حامد: أهيه هناك أهيه.. يا بت هانم.. تعالي يا بت.. سلمي على العبد العظيم بيه.. بت يا هانم تلاتة بالله العظيم لو عبد العظيم بيه اشتكى منك ولا قال إنك مديتي إيدك على حاجة ولا رفعتي عينك ف حد.. لأكون جايب رقبتك على صدرك.

عبد العظيم: بالراحة بالراحة يا حامد.. البنت شكلها

مؤدبة ومرفعتش عنيها من الأرض من ساعة ما وصلت.. قوليلي يا هانم.. أنتي بتعرفي تطبخي؟

هانم: أيوه يا سعادة البيه.. أنا خدامتك.. وأعرف أطبخ وأغسل وأمسح وأعمله كافة شيء.

عبد العظيم: لا.. معندناش خدامات إحنا يا هانم.. ده أنتي شخصيًا جاية علشان تساعدي الست عزيزة اللي معانا من يوم ما اتولدنا.. أنتي في بيتك.. ومش مطلوب من حد في بيته غير أنه يحافظ عليه وعلى كل اللي فيه.. مش كده؟

هانم: كده يا سعادة البيه.

عبد العظيم: بس يا حامد هانم مش أختك أكيد.

حامد: تلاتة بالله العظيم أختي يا سعادة البيه.. والله لو كان ليها ورق كنت جبته لسيادتك.

عبد العظيم ضاحكًا: لا مقصدش يا حامد.. أنا أقصد أنها أحلى منك كتير.. العيون الخضر دول ملهومش علاقة بيك ولا لونها لونك.

حامد: أيوه يا بيه عندك حق.. هى طالعة لأبوها.. أصل أبوها من المنصورة.. عب فرنساوي.. الاحتلال يا بيه برضو له حاجات حلوة.

عبد العظيم: طيب هانم روحي أنتي للست عزيزة وهى

عارفة هتعمل إيه.

ذهبت هانم، ذهبت وهي متأكدةٌ أن المهمةَ سهلةٌ، سهلةٌ للغاية، رأيت عينيه وهى تمسحُها بالكاملِ، شعرت أمامَه كأنها عاريةٌ، عرفت أن هذه العينَ لا تنظر فقط للمعاينةِ، إنما أيضًا، «لرفعِ المقاساتِ» كما قالت لأخيهِا حامد، دخلت هانم وجدت الستَ عزيزة في انتظارهِا، امرأةٌ ممتلئةٌ من كلِ النواحي، تتحرك بصعوبةٍ لكن بانتظامٍ، حركةٌ بطيئةٌ لكنها لا تُشعرك أن بها أيَ ألمٍ، تُراهن على تصميمِها أنك لن تَشعر أن بها مرضًا ما، كانت الستُ عزيزة مستاءةً من قدمِها التي أصبحت تَخونها أحيانًا، مستاءةً منها لأنها هي التي أَوحت لعبدِ العظيمِ بيه، أن يأتي بشابةٍ صغيرةٍ لتُساعدها، أو بمعنى أصح لأن تأخذ مكانَها، لأن تسحبَ البساطَ من تحتِ قدميها العاجزةِ تدريجيًا، كانت السيدةُ عزيزة تستعد لهانِم لتطردها في أقربِ فرصةٍ.

عزيزة: أهلًا.

هانم: أهلًا يا خالة عزيزة.

عزيزة: خالة عزيزة؟؟ إيه خالة عزيزة دي؟؟ لا أنتي تسيبك من الغيط اللي أنتي جاية منه ده وتتعلمي تتكلمي زي البني آدمين.

هانم: أمال أنا بتكلم زي إيه يا.. يا..

عزيزة: الست عزيزة.. اسمي الست عزيزة.. ده عبد

العظيم بيه بيقولي يا ست عزيزة.

أدركت هانم أن الحربَ بدأت بعد دخولِها للفيلاِ بثانيةٍ واحدةٍ، وأن الستَ عزيزة هي العقبةُ الأُولى، وأنها إما تَبقى أو تَبقى الستُ عزيزة، لكنها كانت تعلم أن الستَ عزيزة عصبٌ من أعصابِ البيتِ، لا يُمكن الاستغناءُ عنها بسهولةٍ، فلن تستطيع أن تَتهمها بسرقةٍ، أو تقول إنها ضربتهَا، أو تكلمت على عبدِ العظيم بيه، عَرفت أنهن سيَتنافسن على خدمةِ عبد العظيم بيه الوحيدِ، امرأتان يتنافسن على خدمةِ رجلٍ، لكن هانم لم تأتِ هنا للخدمةِ، هي جاءت لتنتقم، لكن أحيانًا الانتقامَ يبدأُ بتقديمِ الخدماتِ.

كانت فيلا عبد العظيم مليئةً بالتحفِ الفنيةِ، التماثيلِ، اللوحاتِ، بمجرد أن تَدخل من بابِ الفيلا ستَجدُ حديقةً مليئةً بأشجارِ التوتِ التي يَقذفها الأطفالُ في مَوسمِ الربيعِ بالحجارةِ، التي يَسمح لهم عبدُ العظيم بدخولِها كما كانَ يفعلُ والدهُ كامل باشا.

ثم تجدُ أمامَك سُلمًا مكونًا من ثلاثِ درجاتٍ، الأولى منهم على وشْكِ الانهيارِ من أثرِ الماءِ الذي يسقي الأشجارَ عليها، التي عادةً ما يَتركها عبد العظيم ويبدأ من الدرجةِ الثانيةِ مباشرةً

لتصعد وترى سورًا صغيرًا يُعبّر عن اجتيازكِ إحدىَ الاختباراتِ التي أَهلتكَ لتصعدَ وتَقِفَ أمامَ ثلاثةِ أبوابٍ،

أما عن هذه الأبوابِ التي صممها كامل باشا بنفسِه، كامل باشا الذي كان أسيرَ تاريخِ وبراعةِ تنفيذِ «أبوابُ القاهرةِ» كان يرى كامل باشا في أبوابِ القاهرةِ أسرارَ هذه المدينةِ الشامخةِ، التي حكمت العالمَ، وأحكمت أبوابَها على نفسِها، فصمم البابَ الأولَ كـ«بابِ الدهيشةِ» البابَ الذي بناهُ السلطانُ الصالح عماد الدين إسماعيل سنة ١٣٤٤م كبابٍ من أبوابِ قلعةِ الجبلِ، الذي سماُه على اسمِ القاعةِ الأكبرِ في القلعةِ «قاعةُ الدهيشةِ» التي كانت تُدهش كلَ من يَراها هي والبابُ، ولهذا جعله البابَ الأوسطَ، بابَ الدخولِ، أما البابُ الثاني فكان مصممًا كتصميمِ بابِ «الزهومةُ» وهو أحدُ أبوابِ القصرِ الشرقي التسعةِ، وسُمي بابَ الزهومةِ لأنه كان بابَ مطابخِ القصرِ وتَمرُ فيه اللحومُ وحوائجُ الطعامِ فتنبعثُ منه رائحةُ الطعامِ، وكان ذلك أيضًا بابَ المطابخِ عند كامل باشا، أما البابُ الثالثُ فكان تصميمهُ يرجعُ لـ«بابِ الوداعِ» وهو البابُ الوحيدُ الذي قرأَ عنهُ كامل باشا ولم يرهَ بعينيه، فهو بابٌ يُقال إنه من أبوابِ القاهرةِ القديمةِ المسورةِ، كان يفتحُ على مدينةِ الموتي، وآخرون يقولون إنه لا توجدُ أيُ آثارٍ لبابٍ في تلك المنطقةِ وإنه مجردُ اسمِ الطريقِ الذي كان يَسير فيه المشيعيون إلى الدارِ الآخرة، العديدُ من الشوارعِ الفرعيةِ تَفتح فيه مملوءةً بالسكنِ الشعبي أو بالمدافنِ، وهو البابُ الذي جلب له بناةً أغرابًا عن قريتهِ غيرَ من بنوا باقي الفيلا، جعلهم يصممونه بشكلٍ مخيفٍ، أنشأوا منه نسختين، نسخةٌ على

وجهِ الأرضِ ونسخةٌ على الأرضِ نفسِها، أي نسخةٍ رأسيةٍ وأخرى أفقيةٍ، ولا تفتح إلا من الداخلِ، أما التي على الأرضِ لا تفتح إلا من خلالِ نفقٍ خاصٍ لا يعرفه غيرهُ هو ابنَّه عبد العظيم.

وأما عن هانم فدخلت من بابِ المطبخِ، لتظل أيامًا لا ترى إلا المطبخَ، وهي حسب ما فهمت من حامد، أن تصميمَ هذه الفيلا صعبٌ للغايةِ، ومعظمُ من يعيش فيها لا يعرفُ إلا الأماكنَ التي يمر بها يوميًا، وهناك بعضُ الإشاعاتِ تقول إن كامل باشا كان يحفرُ داخلَ الفيلا عبرَ نفقٍ لا يعرف مدخلَه أحدُ إلا عبد العظيم بحثًا عن الآثارِ التي وجدهُا بالفعلِ، ووضع بعضٌ منها في قلبِ الفيلا، لكن أيضًا في أماكنَ لا يعرفهُا إلا عبد العظيم.

واستمرت هانم لشهورٍ على هذا المنوالِ، لم تعرف شيئًا ولم ترَ حتى عبد العظيم بيه، كانت فقط ترى حامد الذي يُورَّد لهم خاماتِ الطعامِ، والستَ عزيزة التي تَكرهها لكن تعاملهَا بعدلٍ لا يصل أبدًا إلى اللطفِ، لم يتغير الحالُ إلا بوعكةٍ صحيةٍ مفاجئةٍ للستِ عزيزة، كان يعلم حامد جيدًا أنها من صُنع هانم.

# مذكراتُ عبد العظيم

## الملفُ الخامسُ «تجمعنا»

أريانا : كنت متخيلة أنك مش هتيجي تاني.. أصل أنا عارفة بعد كل كلام حلو.. غياب.. بس الحمد لله أنك مغبتش.. علشان غيابك دلوقتي بقى بالنسبالي موت.

عبد العظيم: يعني إيه؟؟ يعني أنتي شايفاني عيل صغير اشترى لعبة وممكن يزهق منها؟؟ أنتي ليه شايفاني كده يا أريانا؟؟ ليه؟؟

أريانا: علشان مفيش حد بيحب حد بالسرعة دي.. الحب شيء محتاجله وقت علشان يكبر.. ينضج.. يستوي يا عبد العظيم.. إحنا.. إحنا ملحقناش.

عبد العظيم: آآه.. إحنا ملحقناش.. تقدري تقولي ببساطة إنك محتاجة وقت تتأكدي من مشاعرك ناحيتي.. عادي يا أريانا ده حقك.. وأنا أوعدك هختفي المدة اللي تحدديها.. لحد ما.. لحد ما حضرتك تتأكدي إذا كنتي بتحبيني ولا لا.

أريانا: اتأكد إيه بس؟ أنا مشكلتي أني متأكدة أني بحبك.. يا عبد العظيم.. البنت لما بتحب.. بتدي قلبها وعمرها وروحها لواحد مبتبقاش عاوزه حكم غيره.. بتسكن اللي بتحبه روحها وبتقفلها عليه.. يعني مبتبقاش ملك

نفسها.. وأنا أصلًا الدنيا خدت مني كل حاجة بحبها.. وكنت فاكرة أنه خلاص لا أنا هحب تاني ولا هى هتعرف تاخد مني حاجة تاني.

عبد العظيم: ليه بتفكري كده؟؟ ليه؟؟ إحنا قدامنا العمر.. أنتي لوحدك وأنا لوحدي.. تعالي نعمل بيت ونعمل أسرة كبيرة.. أسرة متكونة من الحب والإخلاص.. نتجوز ونخلف.. ونجيب عيال كتير تملى علينا بيتنا وحياتنا وتعوضنا عن اللي إحنا عايشينه من وحدة.

أريانا: بس أنا معرفش حاجة عن بلدكوا ولا عن مصر غير إسكندرية.

عبد العظيم: هنلاقي حل.. عندنا أستاذ في بلدنا.. عبقري ومحب جدًا في التاريخ.. هجيبه يعمل معاكي زي دروس يشرحل لك فيها تاريخ مصر كلها وتاريخ بلدنا كمان.

أريانا: بجد يا عبد العظيم؟

عبد العظيم: بجد طبعًا.. مفيش مشكلة هتقابلك مش هحلها.. أنا هنا علشان أكسر أي حاجة تقف قدامك.

أريانا: يعني أنت متأكد من كل مشاعرك ناحيتي بجد.. أنا خايفة أوي .. خايفة بجد.

عبد العظيم: طول ما أنا عايش متخافيش.. حضني هيبقى بيتك.. وقلبي هيبقى مأمنك.. وروحي هتبقى ضهرك..

وكل ما أملك هيكون في سبيل سعادتك.

أريانا: أنا مقدرة حبك أوي.. لكن أنا شايفة نستنى على خطوة الجواز ده.. أنت في حاجات متعرفهاش عني.. ضروري تعرفها.. خصوصًا أنك من عيلة أكيد هيسألوك مين دي وجايبها منين.

عبد العظيم: أنا أبويا كان كل عيلتي.. واللي موجودين منهم مسافرين بيجيوا يبصوا كل سنة على القصر.. ويتأكدوا أني مسرقتش منه حاجة أو محتلتهوش.. ويمشوا.. حتى بناتهم اللي كانوا عاوزين يجوزوني منهم.. مبيجوش معاهم غير فين وفين.

أريانا: آه.. بناتهم.. وحلوين بقى بناتهم دول؟

عبد العظيم: الحقيقة آه.. حلوين أوي .. أصل إحنا عندنا عرق تركي كده.

أريانا: طيب اتفضل روح اتجوز منهم.

عبد العظيم: هههههه أنتي اتضايقتي؟ والله ما بشوف حد غيرك في الدنيا.. وعلى فكرة أظن أفضل كتير أني يكون حواليا بنات كتير حلوة.. أحسن ما اختارك أنتي لأنك الوحيدة اللي قدامي.. ده لو دل على حاجة يدل على أني مختارك بكامل إرادتي.. يعني عمري ما هسيبك.

أريانا: غلبتني كالعادة.

عبد العظيم: ما أنتي غلبتي قلبي وأنا مقولتش حاجة.. خلينا نتكلم في المهم.. إحنا إيه اللي معطلنا عن الجواز؟

أريانا: أقولك حاجة ومتقولش عليا متعقدة؟

عبد العظيم: قولي.

أريانا: أنا كل ما أتخيل يوم فرحي أخاف وأقعد أعيط.

عبد العظيم: ليه بس.. ده اسمه يوم فرحك؟

أريانا: عارف يعني إيه يا عبد العظيم واحدة في فرحها لوحدها؟؟ لا أب ولا أم ولا قرايب ولا عيلة ولا أصحاب؟؟ ده المعنى الحقيقي لجملة «مقطوعة من شجرة» حتى الشجرة معرفش هى فين بالظبط.. كل اللي أعرفه عن نفسي هو أنا.. أسمع حكايات من بابا عن موت ماما.. أسمع حكايات عن جدي أول ما شافني لما اتولدت.. أسمع حكايات عن أني أشبه جدتي لأمي.. عارف يعني إيه واحدة بتسمع عن نفسها؟

عبد العظيم: عارف يا أريانا .. وعلشان كده بوعدك أكون أنا بداية تاريخك.. اعتبري يوم جوازنا هو تاريخ ميلادك.. اعتبريني أبوكي وأمك وأهلك وأصحابك.. اعتبري ولادنا هما أصحابنا المشتركين اللي عرفونا على بعض.. على فكرة أنا بحب حكايتنا جدًا.. حكاية تتحكي وتتحب وتتكتب في كتب كمان.. والله بابا لو عايش كان كتب عننا شعر.

أريانا: هو كان بيكتب شعر كمان؟

عبد العظيم: يااااه كان بيكتب شعر ويرسم كاريكاتير ويألف قصص.. كان عاشق للقراءة.. خصوصًا التاريخ.. كان بيعيش جوه الكتب ويعشقها.. عنده مكتبة تقدر دلوقتي بآلاف.. لكن وصيته أني أحتفظ بيها منعاني أبيعها.. بصراحة مكنش ينافس حبه للقراءة غير حاجة واحدة بس.

أريانا: إيه؟

عبد العظيم: حبه للستات الحلوة.

أريانا: هههههههه والله أنا خايفة تكون طالعله.

عبد العظيم: بصراحة قبلك آه.. إنما بعدك والله مبشوفش غيرك.

كان عبد العظيم لا يكذب، كان بالفعلِ لا يرى ولا يشعر بامرأةٍ غير أريانا، وقررَ في هذا اليومِ أن يفكرَ في فكرةٍ تُسعد أريانا، وتعتبرها فرحهَا الأسطوري، دون أن يَشعرها أنها غريبةٌ أو وحيدةٌ كما تَشعر، رأى أن هذه فرصتَه أن يعبرَ لها عن حبِه، وأن يَفك العقدةَ، وأن تكون هذه هي نقطةُ البدايةِ في مشوراهما ورحلةِ حبهما، قرر أن يُذيب الحدَ الفاصلَ بينها وبين سعادتهِا فكان حفلُ الزواجِ الأنيقِ.

# مذكراتُ د. عبدالعظيم

## الملفُ السادسُ «حفلُ زفافٍ»

كان عبد العظيم أوفى مما تتخيل، أنقى مما تتخيل، كان تَتخيله مبدعًا فقط في رسمِها أو نحتِ وجهِها أو حتى كتابةِ أبيات من الشِعرِ في جمالِها، لكنه كانَ الأكثر إبداعًا، فصّل عبد العظيم حفلَ زفافهمِا على كلِ تفاصيلِ أحلامِ أريانا، محى بيدهِ تجاعيدَ الحزنِ من حياتِها، عوضهَا في ساعتين عن عمرِ تجاوزِ الخامستِهِ والعشرين، كلُ عامٍ فيهم كان معنى للسحنِ والحزنِ والوحدةِ والتوحدِ مع الحنينِ للاشيء، كانت تبحث قبلَه أريانا عن اللاشيء، لا تعلم كم هي حزينةً لأنها لا تعلم معنى الفرحِ الحقيقي، لكنه كان عظيمًا في تعليمِها درسِ الفرحِ، فلن تنسى هذا الدرسَ، وستكون الأولى على العالمِ في درجاتِه، ستفرح ملءَ العالمِ، ستفرج حدَ السماءِ، ستفرح حتى تنسى أنها قد عَرفت الحزنَ، فلو قابلته ثانيةً لن تَعرفه، وذلك بفضلِ هذا الرجلِ «عبد العظيم».

أنفق عبدُ العظيم نصفَ أموالِه تقريبًا فقط كي لا تشعر أريانا أنها غريبةٌ في فرحِها، في يومِ زفافِها عليه، أنفق الكثيرَ حتى تتذكر هذا اليومَ طوالَ حياتِها، كان مستعدًا أن يدفعَ ما تبقى له من عمرٍ، كي تعيشَ معه هذه اللحظةَ وتنسى كل ما ذكرتَه له عن العائلةِ غيرِ الموجودةِ، عن

النسبِ غيرِ المعروفِ، عن من تَخلو عنها، عن غربتِها، فأصبح لها البيتَ والعائلةَ والوطنَ والنفسَ.

حدد لها الموعدَ ولم يحدد لها المكانَ، قال لها ما عليكي إلا اختيارُ فستانِ زفافكِ، وكانت أريانا رغمَ كلِ شيء فتاةً، ومن أهمِ اهتمامتِها ملابسُها، لذلك قرر عبد العظيم أن يكون الاختصاصُ الوحيدُ لها في هذا اليومِ هو فستانُها.

أواخرُ السبعينياتِ وأوائلُ الثمانينياتِ سموهُا سنواتِ «البوهو» في فساتين الزفافِ، فكانت الموضةَ هى الأسلوبُ البوهيمي، القريبُ من طلةِ الجيبسي، الذي تحرر فيه الفستانُ من كلِ القواعدِ القديمةِ، حتى الألوانُ، فظهر اللونُ العاجيُ، وهو اللونُ الذي اختارته أريانا، فكان فستانُها عاجيًا، ليس به الكثيرُ من التفاصيلِ، لكنه لا يخلو من تفصيلاتٍ بسيطةٍ أضفت عليه بجمالهاِ سحرًا جعلها مثاليةً كعادتهِا، فالبساطةُ في كثيرٍ من الأحيانِ، هي الطريقُ الوحيدُ للمثاليةِ والجمالِ، وكانت أريانا مبهرةً في بساطتهِا، تخلت عن طرحةِ الفرحِ، وبدلتهاِ بتاجٍ من الورودِ، يتماشى مع بوكيه الوردِ الذي تخرج منه تفاصيلَ تملأ صفحاتٍ من التاريخِ تعرفهُا جيدًا أريانا وحكتها يومًا لعبد العظيم.

أريانا : يعني أنت عارف كل حاجة في إسكندرية؟

عبد العظيم: أكتر منك يا أريانا.

أريانا : نتراهن؟

عبد العظيم: نتراهن على بوسة.

أريانا: بطل قلة أدب.. عبد العظيم هسيبك وأمشي.

عبد العظيم: هجيبك.. عملتيها قبل كده.. وعملتها قبل كده.

أريانا: بس المرة دي لو هربت مش هتعرف تجيبني.

عبد العظيم: والله العظيم هجيبك.. لو روحتي اليونان هجيبك.. لو فضلتي في أبعد حارة في إسكندرية هجيبك.. لو رجعتي بطن أمك يا أريانا هجيبك.

أريانا: هههههه إيه أرجع بطن أمي إزاي بس؟ يعني إيه أصلًا؟

عبد العظيم: يعني اللي بيحب.. مبيسبش.. مبيهربش.. مبيختفيش.. وأنتي بتحبيني.

أريانا: مغرور.

عبد العظيم: حقي.. لما أريانا تبقى حبيبتي.. حقي أكون مغرور.. أنا مفيش حد زي.. محدش يعرف يبقى زي.. علشان بتاعتي أنا لوحدي.. مليش شريك فيكي ولا هيكون.

أريانا : ولو حبيت غيرك؟

عبد العظيم: هقتلك.

أريانا: إيه؟ إيه الكلمة الوحشة دي يا عبد العظيم.. إزاي في موقف زي ده تقولي كلمة زي دي؟

عبد العظيم: وأنتي إزاي يجي في خيالك تكوني لحد غيري؟

أريانا: عمري.. والله العظيم عمري.

عبد العظيم: هههههه يبقى عمري ما هقتلك.. وبعدين تعالي هنا أنتي بتهربي من الرهان؟

أريانا: لا طبعًا.. أنا مستعدة بس نغير الرهان.. يلا بجد بقى.

عبد العظيم: طيب هنتراهن على غدوة حلوة.

أريانا : موافقة.

عبد العظيم: استني بس متتسعريش.. الغدوة هتكون من إيدك أو من إيدي.

أريانا : آآآآه ده أنت داخل على تقيل بقى.. بس برضو موافقة.

عبد العظيم: ها هتوديني فين؟

أريانا: لا طبعًا مش هقولك.. عاوزني أقولك علشان تقولي كنت عارفة.. لا أنا هوديك وأنت تقولي تعرف إيه هناك.. وبتحداك.. مش هتعرف.

عبد العظيم: يلا يا أريانا وإحنا في الطريق فكري هتغدينا إيه من إيديكي الحلوين دول.

أريانا: بس يا عبد العظيم بس كلام من ده.. مالك؟ اتغيرت ليه؟

عبد العظيم: مش داخل على جواز وبتمرن هههههههه ده أنا لسه عندي كلام كتير أوي

أريانا : يلا يا عبد العظيم يلا نمشي من هنا.

وها هي أريانا تُدخله عالمًا لا يعلم عنه شيئًا في الإسكندريةِ الحبيبةِ، الذي كان يتخيلُ أنه يَعرفها بالشِبرِ، كان يظنُ أن حباتَ الرملِ في شوارعِ الإسكندريةِ تعرفُه بالاسمِ، لكن ذلك كان حقيقيًا من وجهةِ نظرِهِ، حتى تحدى أريانا.

أدخلتَه أريانا هذا الشارعَ الذي كُتب على إحدى بناياتِه:

إسكندريةُ يا عروسَ الماءِ وخميلةَ الحكماءِ والشعراءِ.. نشأت بشاطئكِ الفنونُ جميلةُ وترعرعت بسمائِك الزهراءِ.

دخلا إلى شارعِ فؤاد، استنشق اليودَ بشكلٍ مختلفٍ، نفسُ رائحةِ الإسكندريةِ لكنها ممزوجةٌ برائحةِ التاريخِ، رائحةُ التراثِ، رائحةُ الذكرياتِ التي لن تتبدل بتبدلِ الأحوالِ، راهنتُه وكسبت الرهانَ عندما عرفتَه على ما لا يعرف، أدخلتُه هذا المحل الذي لم يره من قبل، «بافيون دي

فلوريل» أولُ وأقدمُ محلٍ لبيعِ الورودِ بالإسكندريةِ ويُقالُ في مصرَ بأكملهِا، «بيتُ الزهورِ» اسمٌ اختارهُ صاحبُ المحلِ الأولِ الخواجةُ اليوناني «عبده مرسي» وشريكُه المصري المعلمُ حميدو منذ أكثرِ من ١٠٢ عام، ليكون الأقدمَ والأجملَ في شارعِ فؤادِ العريقِ.

هذا المحلُ الذي تَشع منه رائحةُ أمِ كلثومٍ وهي تُعانق فيروز في جملةِ موسيقيةِ واحدةٍ، صوتَ عبد الحليم في شبابِه قبلَ المرضِ، ابتسامةَ أحمد زكي عندما كان يرى الدنيَا أمامَه وليس خلفَه، رأت حوائطَ هذا المحلَ عيونَ زبيدة ثروت، وسمعت خيوطَ ستائرِه صوتَ فاتن حمامة، جاءت لأسامة أنور عكاشة فكرةُ بيتٍ أمتارهُ قليلة، لا نلعم نحن هل ماتت، أم هي من عظيمِ الأعمالِ التي رأيناها! يكفي أن نقول إن هذا المكانَ رأى إسماعيل ياسين في حالٍ غيرَ باسم لأنه كان في طريقهِ لزيارةِ مريضٍ، هذا المكانُ عانق التاريخَ وأخذ معه القهوةَ على مهلٍ بغيرَ عجلٍ، رحل اليوناني، وبقي المصري، وبكت الزهورُ ثم بقت، لتظل حتى الآن زهورُ برائحةِ الإسكندريةِ.

أريانا : ها أكسب؟؟ بذمتك كنت تعرف حاجة عنه؟

عبد العظيم: بصراحة لأ.. إزاي كان غايب عني؟؟ ده باين جدًا !! إزاي عمري ما شوفته.

أريانا: علشان في حاجات لازم تشوفها بقلبك.

عبد العظيم: بس أنتي أخدتي كل قلبي.. ومش عارف أشوف حاجة تانية.

أريانا: يا رب على طول.. يا رب على طول راضي بيا ومكتفي.

عبد العظيم: لو عوزت أكتر من كده أبقى مفتري.. ده كده زيادة عليا أصلًا.

أريانا : مفيش حاجة تزيد عليك يا حبيبي.

عبد العظيم: يا إيه؟

أريانا: يا حبيبي.

عبد العظيم: طيب يلا نتجوز.

كان هذا هو حوارهُم الأخيرُ قبل الزواجِ، خطفهَا، لم يسمح لها إلا بأن تختارَ فستانَها، وأضافَ له الوردَ من «بافيون دي فلوريل».

فستانُها العاجي، وتاجُ الوردِ، وبوكيه الزهورِ الذي تَكَّون فقط من زهرةِ البيلسان، الزهرةُ التاريخيةُ جميلةُ اللونِ الذي منها البيضاءُ والصفراءُ والورديةُ، وكان اللونُ الأبيض هو اللونُ المختارُ، كانت هي تقرأ عن البيلسان، كانت تعرف أنها ذاتُ رائحةٍ عطريةٍ قويةٍ، وتُعد أحيانًا مخدرةً، وكانت تحبُ في البيلسان أن لها أكثر من اسمِ، هي تحبُ التنوعَ وتَمل بمنتهى السهولةِ، وكانت تتمنى أن تكون حياتُها

أكثرَ من حياةِ بأكثرِ من اسمِ بأكثرِ من قصةِ، لكن ما يفعله عبد العظيم الآن غيَّر به كلَ المشاعرِ وكلَ الأحلامِ وكلَ الانطباعاتِ حتى الشخصيةُ منها، فلا حاجةَ الآن لاسمٍ مختلفٍ ولا حياةٍ مختلفةٍ ولا قصةٍ جديدةٍ، الآن نحنُ نعيشُ حياةً بألفِ حياةٍ.

شاطئٌ كبيرٌ لا يوجدُ شخصٌ واحدٌ على مرمى البصرِ إلا عازفي الكمانِ، لا ألوانَ غيرَ ألوانِ الطبيعةِ لا صوتَ سوى صوتِ الأمواجِ ونغماتِ الكمانِ الهادئةِ، لا حذاءَ، لا عيونِ تتفحصُها، لا شعورًا سلبيًا واحدًا، كان الطريقُ حتى مفروشٌ بالورودِ ومن تحتِها السجادُ الذي يحمي قدميها من حباتِ الرملِ، لا يوجدُ شيءٌ هنا غيرَ السعادةِ، السعادةُ وهوُ.. صانعُ السعادةِ.

كان يمسك يدَها بخفةٍ وعمقٍ شديدين، كان ينظرُ لها في عينيها ليُطمئنها، وليَطمئن، هل ما أُرهق من أجلِه أتى بثمارِه؟ وكانت الدموعُ تُجيب «نعم».

كانت دموعهُا تقول له أنا الآن أبدأُ تاريخي، أنا الآن مدينةٌ معمرةٌ بسكانٍ لا يعرفون إلا معانِ الحبِ، أنا الآن أحملُ في داخلي بحرًا تملئوه كنوزُ الدنيا، سمائي تلمعُ فرحًا وأرضي تنبتُ راحةً، أنا الآن وُلدت، وُلدت في الجنةِ، أنا الآن وفقط أشعر أنني الإسكندريةُ بنفسهِا.

# العقربُ

الأستاذ جمال: التاريخ كَل مخك يا أنور.. لا إحنا محتاجينه السنة دي علشان تدخل كلية الآثار وتشرفنا.

أنور: آه كلية الآثار.. حلم عمري يا أستاذ جمال اللي حضرتك حببتني فيه.. أنا وأنا بدور على الإنترنت قعدت أفكر أنت كنت بتعرف التاريخ ده كله إزاي من غير إنترنت؟

الأستاذ جمال: والله يا أنور أنتوا محظوظين.. إحنا كنا بندور على الكتب ونستلفها ونشتريها.. استغل النت والثورة التعليمية دي لصالحك إوعى تعمل زي العيال اللي بتشوف صور ثقافية.. اوعى يا أنور.

أنور: والله يا أستاذ أنور عمري ما عملت كده.. وبعدين أنا بدخل ع النت سرقة كده.. هانم لما بتشوفني بتطلم على وشها عشان فاتورة التليفون اللي خليتها تدخله غصب عنها

وقريت حاجة عن العقرب بقى تخليك تقول اللي بتقوله ده؟

أنور: أه.. لكن مش متأكد إذا كانت صح ولا غلط وكنت ناوي أجيلك أسألك ونمت وأنا بفكر في الحكاية اللي قريتها.

الأستاذ جمال: قريت إيه؟

أنور: قريت أن في كلمة اسمها «سعرقت» يعني بالعربي

«الملك العقرب» ودي كلمة كانت عن الملك عقرب التاني.. آخر ملك حكم الصعيد قبل توحيد مصر حوالي كده سنة ٣٢٠٠ قبل الميلاد.. العقرب.. وبيقولوا إنه كان مقاتل شجاع وشاطر أوي في القتال.. كان مفيش زيه.. عمل ثورة ضد ملك ظالم كان مستعبد شعبه وخد منه الحكم وحكم هو بالعدل.. ومات سنة ٣٢٢٨ قبل الميلاد بيقولوا إنه آخر ملك قبل مينا اللي وحد مصر.. وناس بتقول لا ده بينهم ٤ حكام.. بس في النهاية هو اللي مهد لتوحيد مصر.. هو ليه التاريخ يا أستاذ أنور بيذكر اللي حصد الإنجاز بس.. ليه مبيذكرش اللي أعدوه أول اللي مهدوله الطريق؟

الأستاذ جمال: علشان إحنا شعب بيحب الأبطال.. من أول الآلهة أيام المصريين القدماء.. لحد الفتوة في كل حارة.. لحد العمدة وشيخ البلد.. إحنا اللي بنعمل الأبطال.. وإحنا اللي بنكبرهم لأننا بنحبهم.. أما يا سيدي اللي بيساعدوهم فدوري ودورك ودور كل اللي بيحب التاريخ أنه يعرف الناس بيهم.. ويخلوهم يشوفوهم أبطال.. لأنه جايز يكونوا أبطال.. أكتر من البطل.. بس أنا مبسوط أنك بتدور وتبحث عن التاريخ يا أنور علشان كده هحكيلك أسطورة عن العقرب.. مش هتلاقي حد غيري هنا عارفها.. عارف ليه؟

أنور: ليه؟؟

الأستاذ جمال: هههههههه علشان هما مش عاوزين يعرفوا.

أنور: بس أنا عاوز أعرف يا أستاذ جمال.. عاوز أعرف كل حاجة.. نفسي أدخل الجامعة علشان تبقى المكتبات الكبيرة تحت إيدي.. احكي لي يا أستاذ جمال علشان خاطري.

الأستاذ جمال: هديلك حاجة أنا كنت جامعها يا أنور.. وبالمناسبة كل اللي أنا كاتبه هسبهولك بعد ما أموت.. كل اللي أعرفه كل الكتب وكل اللي كتبته عن تاريخنا سواء تاريخ مصر أو تاريخ بلدنا الصغيرة دي.

أنور: هى بلدنا ليها تاريخ؟؟

الأستاذ جمال: طبعًا يا أنور.. هتلاقي كله في السندرة.. ده المفتاح.. ده مفتاحك أنت بس.. ومتفتحش غير لما أموت.

أنور: بعد الشر عليك يا أستاذ جمال

الأستاذ جمال: الموت مش شر يا أنور.. هههههههه وبعدين لو مت الآلهة هتتصرف متقلقش.

أنور: يعني إيه يا أستاذ جمال ؟

الأستاذ جمال: لا تعرف بقى لما تقرأ.. أنا هقوم علشان العصر وجب.. ها هتصلي معايا؟ أنا هصلي في الجامع

الكبير.

أنور: طيب ممكن أول مرة تقرالي أنت يا أستاذ جمال؟

الأستاذ جمال: ماشي يا سيدي بس يلا نلحق العصر.

أنور: يلا.

ذهب أنور إلى الجامعِ الكبيرِ، صلى العصرَ لكن دون تركيزِ، كان يُفكر في الورقِ الذي أخذه من الأستاذِ جمال، كان يريدُ أن يُنجز الإمامُ في الصلاةِ هذه المرة كي يَعرف القصةَ، شعر بالذنبِ لعدمِ تركيزِه، لكن شعورهَ بالفضولِ كان أقوى، انتهت الصلاةُ، ولم يستطع أنور أن ينتظرَ حتى يُسلم الأستاذ جمال على المصليين وجذبهُ ومشي به حتى منزلِه، وبدأ الأستاذُ جمال في القراءةِ.

## الإلهُ تحوت

يا تحوت ضعني في هرموبوليس.. مدينتُك التي يحلو فيها العيشُ.. أعطني ما يلزمني من الخبزِ والجعةِ.. واحفظ فمي من الألفاظِ.. هل يُمكن أن يكون تحوت خلفي في الصباحِ.. تحضري أيتها الكلمةُ الإلهيةُ.. عندما أدخل أما الإلهِ سيدي.. حتى أكونَ صادقَ القولِ.. أنت يا من تجذب الماءَ إلى المكانِ القاصي.. أقدم وأنقذني أنا الصامتُ.. يا تحوت أيها النبعُ العذبُ للإنسانِ الذي أصابُه العطشُ في الصحراءِ.. إنه مغلقٌ لذلك ألفاظِه.. لكنه مفتوحٌ للصامتِ.

التحيةُ لك.. سيدَ الألفاظِ الإلهيةِ.. يا من ترأس الشعائرَ المحجوبةَ.. وتستقر في السماءِ وعلى الأرضِ.. الإلهُ العظيمُ منذ الأزلِ.. ذو الصلةِ.. مخترعُ اللفظِ والكتابةِ.. يا من تعملُ على تزايدِ الدورِ .. وتؤسس المساكنَ.. يا من تُحيط الآلهةَ علمًا بدورهِا.. وكلُ فنٍ بقواعدِه والأقطارَ بحدودهِا.. كذلك الحقولِ.

أنا لقيت النص ده وأنا بدور على تاريخ الإله تحوت واللي لفت نظري من وسط تاريخه الكبير قصة عظيمة لأزوريس واللي بتقول إن بعد وفاة «أوزير» فضل «ست» يدور على إيزيس وحورس علشان يقتلهم.. لكن الإله تحوت نصح إيزيس أنها تاخد حورس علشان عمه الشرير ست ميقتلهوش.. وقالها تروح للدلتا وأرسل معاها ٧ عقارب علشان يحموها من ست أو من أي خطر تاني.. لكن في رحلتهم مواجهوش أي خطر.. لكن المسافة كانت طويلة ومتعبة.. خلت إيزيس تتعب وتبقى هزيلة .. لكنها لقت بيت باين عليه العظمة والفخامة وشافت واحدة ست باين عليها الغنى من ملابسها.. لكن الست دي رفضت تساعدها وقفلت الباب في وشها علشان خايفة من العقارب.

اضطرت إيزيس أنها تمشي بابنها علشان تلاقي أي مكان فيه أكل أو شرب.. فقابلتها بنت لصياد وعرضت عليها المساعدة وفعلا ساعدتهم.. لكن العقارب غضبوا من

الست اللي رفضت المساعدة.. ف ٦ من العقارب فرغوا سمهم في دراع عقرب واحد بس.. وراح العقرب ده بيت الست الغنية.. وفرغ سمه في جسم ابنها.. اتنفخ الجسم وشحب الولد.. والست قعدت تصرخ وتستغيث بجيرانها.. لكنهم رفضوا وقفلوا أبوابهم في وشها.. علشان خايفين من العقارب.

لما عرفت إيزيس باللي حصل.. نست الإهانة.. وراحت للست وقرأت على الطفل التعاويذ لحمياته.. فانصرف عنه سم العقارب ورجع بخير.. وشكرتها الست الغنية واديتها نص مجوهراتها واديت بنت الصياد فلوس كتير.

العقرب في حضارتنا.. يعني الانتقام يا أنور.. شوف أنت بقى عاوز تنتقم من مين وخلاك تدخل جوه العقرب أو العقرب يدخل جواك.. أنت لحد دلوقتي أنت اللي بتتحكم فيه.. لكن خايف يجي اليوم اللي يتحكم هو فيك.

أنور: أقولك على حاجة يا أستاذ جمال.. حاجة غريبة أوي.

الأستاذ جمال: قول يا أنور.

أنور: هو مش البركان بينتج عنه مواد كويسة وغالية؟

الأستاذ جمال: أيوه.

أنور: أنا بحس أن أنا نتيجة بركان.. بحس أني ليا قصة

فيها انتقام وكره وقتل وبراءة وسماح وطيبة.. متلخبط أوي في أنا مين! أنا مش شبه هانم.. مش شبهها في الشكل بس.. قلبي مش شبه قلبها.. طبعي مش شبه طبعها.. بحبها.. بحبها أوي.. بس حب غريب.. حب مش قادر أفسر نوعه

وأبويا راجل معرفهوش.. سواء كان نجس زي ما هانم بتقول أو كان مظلوم زي مظاليم كتير في عالم هانم.. أنا كنت بصدق هانم طول ما كانت هى المصدر الوحيد ليا.. قبل ما أعرفك وتعرفني قيمة القراية.. قبل ما أشوف أفعالها اللي بتقول إن واحدة زي دي عمرها ما هتبقى مظلومة.. وبفكر أوقات أنها اتحولت لظالمة بعد ما أبويا ظلمها.. عارف أن ربنا اختارلي قصة وحكاية مختلفة.. بس مكنتش أتمنى أنها تبقى مختلفة لدرجة أن أنا اسمي «أنور حامد» على اسم خالي اللي ميشبهنيش.

الأستاذ جمال: يااااه شايل كل ده يا أنور على سنك ده يا ابني! ويا ترى عاوز تنتقم من أبوك ولا من هانم ولا من مين؟

أنور: هو أنت ليه دايمًا تقولي هانم على طول يا أستاذ جمال؟؟ عمرك ما قولتلي أمك؟!

الأستاذ جمال: علشان اللي أنت بتقوله ده يا أنور.. أنت مش شبهها وهى مش شبهك.. أنت مش شبه حد ولا حاجة

هنا يا أنور.. أنت مكانك مش هنا.

# مذكراتُ د. عبدالعظيم

## الملفُ السابعُ «اللقاءُ الأولُ»

ساءت الحالةُ الصحيةُ للستِ عزيزة بسرعةٍ مخيفةٍ، لم يعلم أحدُ سببَ ما حدث، أصابتها حالةُ من الإسهالِ الشديدِ الذي أدى إلى جفافٍ دخلت بسببه في نوباتِ نومٍ طويلةِ، وارتباكُ في المعدةِ، تغير لونُ أظافرها إلى الأبيضِ، بدأت تَشعر بالعمى الليلي، لم يكن عبد العظيم بيه هناك ليَستشير طبيبَه الخاصَ، كان غائبًا ولا يعلمُ أحدٌ أين هو وماذا يفعل وكيف يصل إليه، فكلُ قنواتِ الاتصالِ المعهودةِ مقطوعةُ، أخذها ابنهُا إلى المستوصفِ فكان التشخيصُ المبدأيُ أن الستَ عزيزة أُصيبت بالكوليرا، وستأخذ وقتًا طويلًا في العلاجِ، هذا إذا استجابت، لكن الاحتمالَ الأكبرَ أن تدخلَ في غيبوبةٍ تليها الوفاةُ.

صدمةٌ كبيرةٌ في الفيلا العامرةِ بحسِ الستِ عزيزة، حالةٌ من الغمِ والحزنِ تعم المكانَ، كلُ من يعمل في المنزلِ فقد السيطرةَ على حزنهِ، أصبحوا يعملون كأنهم أشباحٌ بلا روحُ، كانت بيننا، كانت تُعاملنا كأبنائِها، كانت الأمُ الكبيرةُ لكلِ هذا البيتِ، أتتركنا هكذا في أيامِ؟!

شاركتهُم هانم هذا الحزنَ كي لا يَنعتوهُا بالنحسِ الذي جلبَ الخرابَ للبيتِ العامرِ، أخذ الحزنُ يكبر في أيامٍ قليلةٍ جدًا، ولم يَمر الكثيرُ من الأيامِ إلى أن جاء عبدُ العظيم لكنه

جاء ومعه مفاجأةٌ أكبرَ بكثيرِ، جاء وفي يديِه زوجتُه أريانا.

حامد: عملتي إيه في الولية يا اللي تنشكي ف إيدك؟

هانم: والنبي ما عملت حاجة أنا قلت أخلي بطنها تمغص زي ما هى منغصة عليا أيامي هنا.

حامد: تمغص..!! الولية بتموت يا شطانة أنتي.

هانم: ما تموت ولا تغور ف داهية وهى عايزة تقعد أكتر من كده إيه؟ هى هتاخد زمانها وزمان غيرها؟ أنا هنا عشان آخد عبد العظيم يا حامد ياكش تكون نسيت؟

حامد: منستش ومتزفتش الله يخربيت أمك.

هانم: ما هو اتخرب زمان.. واتخرب على إيد أبوه.. أنا جاية أردله بقى الدين اللي علينا ده.. اهمد بقى يا حامد وقولي الحكيم قال إيه؟

حامد: قال كوليرا ومش هتقعد أيام وتموت.

هانم: طب شوفت والمصحف هى كانت هتموت لوحدها أهو.

حامد: إنتي عملتيلها إيه؟؟ خلينا نلحق الولية.

هانم: معملتش حاجة.. اتسحبت وروحت أوضة عبد العظيم عشان أشوف هجيبه منين.. لقيت زيت جنب رسوماته قلت ده جاز حطيتهولها في النعناع.

حامد: وهى معرفتش؟؟ يعني الطعم مجزعش نفسها؟؟

هانم: حست.. بس قالت النعناع ده كارف كمون وكملت طفح.. هى اللي ولية دنية وبتاعة بطنها طول الليل بتحش في الأكل ومبتعبرنيش وببقى بتلوى من الجوع.

حامد: طب خدي بالك عبد العظيم بيه جه النهاردة..

هانم: يا نهار أسود يعني ممكن يعرف إني أنا اللي حطيتلها زيت؟؟ ده أنا كبيت نصه ع الأرض وقلت هينشف لحد ما يجي.

حامد: لا متخافيش مش هيروح أوضة الرسم اليومين دول خالص.

هانم: الحمد لله.. بس ليه؟

حامد: لا ما هو مش الحمد لله أوي.

هانم: ليه؟

حامد: عشان هو اتجوز.. وجارر ف إيديه عروسته.

هانم: نعم يا عين أمك؟ اتجوز؟؟ هو مين اللي اتجوز؟؟ سُكيتي كده؟؟ لا أكيد أنت حمار ومش فاهم حاجة.

حامد: بقولك اتجوز هو اللي قالنا.

هانم: روح الله يفحمك.. أمال أنا هنا بعمل إيه؟؟ اتجوز يادي الحوسة والنايبة الكبيرة.

حامد: شوفتي يعني مكنش له لزوم اللي عملتيه في الولية.

هانم: ملهوش لزوم إزاي؟؟ لا هو إنت فاكرني أنا همشي من هنا؟؟ والنبي لما يتجوز عشرة أنا وراه وراه لو بقيت عمري.. أنا مش همشي من غير لما أعمل اللي ف نافوخي.. يا كده يا تشولني من هنا ع التُرب تدفنوني.

جامد: هتفضلي لحد إمتى الشيطان راكبك كده؟

هانم: لحد ما أذله وآخد حق أمك وأبوك يا أبو الرجالة.

صممت هانم، لم يُعطلها عن هدفهاِ خبرُ الزواجِ، بل جلست لتُفكر كيف ستجمعُ المعلوماتِ عن هذه الزوجةِ، ما الذي يَنقص هذه الزوجةَ لتَدخل من خلالِه هانم؟ هل هي قبيحةٌ؟ إذن فالمهمةُ سهلةٌ، هل هي متكبرةٌ؟ فالرجلُ يحتاجُ لخادمةٍ في كلِ شيءِ، هل هي مِن مصرَ؟ إذن سيَحن قلبُه لمن يُشبهه في يومٍ ما.

ستَعلم هانم نقطةَ النقصِ، ثم تدخلُ من نقطةِ الضعفِ لا محالةً، هذه هي مهمةُ عمرهاِ، وعمرهاُ من دونهاِ ليس له أيُ أهميةٍ، فهي تعيشُ من أجلِ تحقيقِ هذا الهدفِ.

عبد العظيم: أنا جمعتكم كلكم علشان أعرفكم بخبر جوازي.. وإن مدام أريانا مراتي هي ست البيت وأمرها نافذ.

حامد بمبالغة: ألف نهار أبيض يا عبد العظيم بيه.

الطباخ بفرح مفتعل: ألف مبروك يا سعادة البيه.

السفرجي: زواج مبارك إن شاء الله يا بيه.. نورتينا يا هانم.

هانم بهمس: عريانة.. ما هي عريانة صحيح أهي.

عبد العظيم: بتقولي حاجة يا هانم؟

هانم بارتباك: ألف بركة يا سيدي البيه.. ألف بركة يا ست هانم البلد كلتها نورت والنعمة الشريفة.

أريانا: لا شوفي يا.. اسمك إيه؟

هانم: خدامتك هانم.

أريانا: لا هانم.. لا أنتي خدامة ولا أنا ست هانم.. أنتي اللي اسمك هانم أهو.. إحنا هنا كلنا في بيت واحد بنساعد بعض.. يعني هتلاقوني معاكوا في كل حاجة.. وهتساعدوني مبقاش غريبة هنا.. اتفقنا؟

هانم: اتفقنا يا ست إريان.

أريانا ضاحكة: لا اسمي أريانا .. أنا عارفة أنه صعب لكن هتتعودي عليه.

عبد العظيم: احكي لي يا حامد إيه اللي جرى للست عزيزة.

حامد: أنا مكنتش موجود والله يا عبد العظيم بيه.. بس

اللي أعرفه إن الداكتور قال كوليرا وإن الحالة خطر أوي.

عبد العظيم: طيب أنا هروح أطمن عليها بنفسي.

ذهب عبد العظيم بيه إلى بيتِ الستِ عزيزة فوجدها في غيبوبةٍ كاملةٍ، كلُ مَن في البيتِ يتعامل مع الوقتِ على أنه فقط سيَمر ليأخذ روحهَا إلى ربهِا، لا أملَ، لا محاولةَ، لا تشككَ في معلومةِ الطبيبِ، فأخذ هو هذه المبادرةَ وقرر أن يأتي بطبيبٍ من القاهرةِ، وبالفعل أرسل سيارةً خاصةً أقلت الطبيبً إلى القريةِ، وكان له رأيُ آخر.

الطبيب: عبد العظيم بيه إيه طبيعة عمل الست عزيزة عند حضرتك؟

عبد العظيم بيه: كانت المسؤولة عن كل شيء في البيت من نضافة لطبخ لمتابعة شؤون البيت كله.

الطبيب: يعني هى مثلًا بتنضف أوضة الرسم لحضرتك؟

عبد العظيم بيه: لا الست عزيزة بتشرف بس على الأعمال دي.. بقالها سنين مبتعملش حاجة بايديها أبدًا.

الطبيب: يبقى الاحتمال اللي في دماغي مستبعد.

عبد العظيم بيه: احتمال إيه يا دكتور طمني.

الطبيب: من يومين فاتوا جالنا رسام بيتشكي من نفس الأعراض اللي عند الست عزيزة.. الحقيقة هو مش جالنا هما جابوه شايلينه.. لكن كانت نفس الأعراض.. لكنه

كانت الأعراض عنده أسرع لأن بنيته ضعيفة ومكنش في حاجة في معدته يوم الحادث.

عبد العظيم بيه: حادث إيه؟

الطبيب: شوف يا سيدي أنتوا عندكم في مواد الرسم والدهانات مادة بتحتوي على مادة الزرنيخ.. خصوصا الزرنيخ ٣ ودي مادة سمية.. تسبب التسمم الفوري وبتعمل نفس أعراض الكوليرا، لكن بتطور سريع جدًا.. ثم المريض يدخل في غيبوبة ثم يتوفاه الله بعد الشر على الست عزيزة يعني.

عبد العظيم بيه: لا.. لا.. ده احتمال مستبعد الست عزيزة مبتطلعش سلالم.. وعلشان توصل للأوضة دي ضروري تطلع وهى تقريبًا معملتش كده من سنين طويلة.

الطبيب: إذن إحنا هناخد الدوا الخاص بالكوليرا وإن شاء الله خير.. حضرتم اصرفولها الدوا ده وتاخده بانتظام.. وربنا يكتب الخير.

عبد العظيم بيه: متشكرين يا فندم.. اتفضل.

أنقذها عبد العظيم، أنقذ بسذاجتِه الشيطانةِ، مرت جريمةُ القتلِ بنفيِه لاحتمالٍ واردٍ، ماتت الستُ عزيزة، وأخذت هانمُ مكانهَا بسرعةٍ لأنها السيدةُ الوحيدةُ في المنزلِ بعد «سيدةِ المنزلِ» أريانا، من قتلِ الستِ عزيزة؟ شرُ هانم؟ أم سذاجةُ عبد العظيم؟

مرت الشهورُ ولم يصعد عبدُ العظيم إلى غرفةِ الرسمِ، فمَن يرسم؟ كان يرسمُ أريانا و أريانا الآن بين يديِه، لم يُعكر صفوَ فرحتِه بزوجتِه أريانا إلا أحداثُ موتِ الستِ عزيزة، لكن كانت أريانا حكيمةً بدرجةٍ جعلته يتعدى الحزنَ في وقتٍ قصيرٍ للغايةِ، لم تكن فقط حكيمةً، كانت أيضًا جميلةً، وكان جمالهُا قادرًا على أن يُنسيه العالمَ، كانت عندما تُريده تُشير له بعطرِها الذي يَجعله زوجًا للمرةِ الأولى في كلِ مرةٍ، حتى ولو تعددت المراتُ يوميًا، فكانت كلُ مرةٍ لسببٍ غيرِ سابقِه، فمرةُ بسببِ نظرةٍ، ومرةُ بسببِ همسةٍ، ومرةُ بسببِ لمسةٍ، ومرةُ بسببِ صوتٍ كانت تُجيده، بل تُتقنه.

نام في العسلِ، عاشَ فيه، تَذوقه ولم يَشبع منه يومًا، وكان مع كلِ رشفةِ عسلٍ، تشعر هانم بالمرارةِ التي تركها ظلمُ أمهاِ فيها، كانت تتمنى دائمًا أن تَسمع شيئًا يُوحي لها بأن الصفوَ قد تَعكر بين عبد العظيم بيه و أريانا هانم، التي أصرت أن تقولَ لها أريانا هانم، كي تَلصق اسمهما معًا، فهى كانت ترى نفسهَا الترجمةَ المصريةَ للفاتنةِ اليونانيةِ، كانت ترى نفسهَا جُملةً أسهلَ لا تحتاجُ إلى تفسيرٍ، أما أريانا فهي تحتاجُ دائمًا لشخصٍ يُترجم لها الواقعَ ويُترجمها له، وكانت هانم هي ذلكَ المترجمَ، دافعت عن علاقتهِا اللصيقةِ ب أريانا بكلِ ما تملك من قوةٍ، كانت تَعرفُ جيدًا أن مَن يَملك القدرَ الأكبرَ من المعلوماتِ يَفوزُ في النهايةِ، فما بالُك من أن قربَها من أريانا سيجعلُها الأكثرَ

في المعلوماتِ، والأقدرَ على توجيِه التصرفاتِ من خلالِ نصائحهاِ التي تَطلُبها دائمًا أريانا منها، لا أخطرَ من أن تَترك شريرًا يُشَّكل لك تفكيركَ ومعتقداتكَ، فلو كان قَتلك لكانَ أرحم.

حامد: اتصبحي بالخير يا هانم.. مالك عِكرة ليه؟

هانم: ويجي منين الروقان يا ابن أمي؟

حامد: إيه اللي جرى؟؟

هانم: أريانا هانم حبلة.

حامد: حبلة؟! طيب ودي حاجة حلوة ولا وحشة؟

هانم: هتفضل طول عمرك أهطل يا حامد.

حامد: اتأدبي يا هانم.. أنا مش مرة وياكي في الحارة.

هانم: خلاص يا سي حامد.. حقك عليا.. أنا طافحة القهر والنبي مش ناقصة.. أنا كنت متعشمة تطلع بور ومبتحبلش ويبقى ده المدخل اللي أخش منه لعبد العظيم بيه.

حامد: طيب وليه متقوليش إن حملها مصلحة ليكي أنتي؟!

هانم: إزاي؟

حامد: الواحدة من دول وهى حبلة مبتبقاش طايقة جوزها ولا بتخليه يقرب منها.. وعبد العظيم بيه مكنش بيطيق

قبل الجواز يقعد من غير مرة شهر على بعضه.

هانم: إيه؟؟ يسلم فمك يا حامد.. أنت طلعت شطان.

حامد: آه شطان.. بس قورني.. إحنا اتفاقنا أنه هيكتب عليكي يا بنت أمي وأبويا أنا مش اللي هيسلم أخته.. اوعي يا هانم عليا الحرام أقطع رقبتك.

هانم: وأنت فاكرني مش هعمل كده عشان خايفة منك! أنا مش هعمل كده علشان أنا هانم..أنا عاوزه أبقى ست الفيلا دي.. عاوزه أبقى أم عيل من صلبه يورثه قبل ما أموته.

حامد: دمك وعينك بقوا كلهم شر يا هانم.

هانم: لما يبقى عمرك كله عايشه عشان حاجة واحدة بس.. مش هتفرق معاك حاجة غيرها.. أنا مش فارق معايا عمري.. أنا فارق معايا أذلهم وآخد حق أمي وأبويا من ولاد النجاسة دول.

# مذكراتُ د. عبدالعظيم

## الملفُ الثامنُ «المولودُ الأولُ»

ما هذه القصةُ المثاليةُ؟! عادةً ما نرى شيئًا وُسَطَ الأحداثِ يُعكر حلاوتَها، وهذا ما لم يحدث في حياةِ عبد العظيم و أريانا على الرغم من تَربصِ هانم الدائمِ به، تخيل أن يَهبك أحدهمُ حياتهَ فقط ليُنهي حياتكَ، فلا احتمالٌ لك في الفوزِ بالتحدي، فإذا دخلت مع أحدهمِ التحدَي ولا يرغبُ في الفوزِ، يرغبُ فقط في هزيمتكِ، فتأكد أنه التحدي الأصعبُ في حياتكِ، فلا تفاوضُ ولا حساباتُ، ولا إغراءاتُ، فكلُ شيءٍ محسومٌ قبلَ المعركةِ.

وبكلِ هذا الحقدِ تُشاهد هانم كلَ يومٍ مشاهدَ الرومانسيةَ والتقديرَ الكبيرَ بين عبد العظيم و أريانا، تشاهدها وتبتسم لهما، والغلُ يأكلُ قلبهَا ويعتصرُ خلاياَ مخهاِ من الداخلِ، كيف تعلمت هانم إتقانَ التمثيلِ وأين؟ فهي كانت تقولُ عادةً عن نفسهاِ إنها ينقُصُها فرصةٌ لتكون الممثلةَ الأهمَ في مصرَ، كانت تتخيلُ دائمًا، لو أنها هي التي تأخذُ هذه الفرصةَ، لو جاءَ لها عبد العظيم وطلبَ منها الزواجَ، ووفر لها هذا المناخَ، أتى لها بالخادمين لخدمتهاِ، بالمدرسِ للتدريسِ لها، لماذا كلُ شيءٍ تحتَ أمرِ أريانا هانم؟!

عبد العظيم: هانم.. بتعملي إيه؟؟

هانم: أبدًا يا عبد العظيم بيه بباشر الشغل وأشوف

الطبيخ.

عبد العظيم: بس أنا كنت شايفك واقفة قدام المرايا بتكلمي نفسك.. إيه؟ خلاص مشغوليات الفيلا جننتك؟

هانم: هههههه لا يا بيه أنا بس كل ما أعدي من قدام المرايا دي أقف كده أبص على نفسي وأتأملها.. وأقول مش كنت اتولدت أبويا بيه ولا باشا ولا حتى أفندي.. كان زماني ممثلة ولا مذيعة ولا حتى رقاصة.

عبد العظيم: إيه؟؟

هانم: لا مؤاخذة يا بيه أنا اتعديت حدي.. آسفة والنبي آسفة.

عبد العظيم: طيب خلاص روحي شوفي شغلك وتاني مرة متقفيش تكلمي نفسك قدام المرايا لتتجنني أكتر ما انتي مجنونة.

لاحظت هانم أن عبد العظيم بيه لم يغضب، لكنه جاراَها في الاعتذارِ كي لا تهتزَ صورتهُ، فهو ليس بارعٌ في ترسيمِ حدودهِ مع كلِ الأشخاصِ وهذا ما ورثهُ عن والدهِ أيضًا، فهو متساهلٌ في كثيرٍ من الأمورِ، التي من ضمنهِا طريقةُ تحدثِ الآخرين معه، يَعتبر نفسَه متواضعًا، ويعتبره الآخرون صديقَ الفقراءِ، لذلك لم يتعدَ أحدٌ حدودهَ من قبلُ إلا من قبيلِ المزاحِ.

كانت تعلم أنها تُعجبه من أولِ يومٍ، ولولا دخولُ أريانا على خطِ قلبِه لكانت هي سيدةُ الفيلا الآن وليست الخادمةَ، لذلك تكره أريانا من كلِ قلبهِا، وتكره أيضًا هذا المولودَ القادمَ خلالَ أيامٍ، تكره الوريثَ الأولَ كما تُطلق عليه.

أريانا: حبيبي.. خلاص قربت أولد وأجيبلك أول خيط يربطنا ببعض للأبد.

عبد العظيم: أنا مش محتاج حاجة تربطني بيكي.. قلبي رابطني لآخر العمر يا حبيبتي.

أريانا : بجد.. يعني مش متضايق من شكلي المتلخبط على طول.. وطباعي اللي بقت وحشة.

عبد العظيم: عمرك ما كنتي ولا كانت طباعك وحشة.. وبعدين ما هو كله من اللي في بطنك حبيبي أو حبيبتي أنا وأنتي .. كفاية تعبك أنا عارف أنه مش بكيفك.

أريانا : تفتكر ولد ولا بنت؟

عبد العظيم: ولد أو بنت المهم أنه منك.. والله أنا مش فارق معايا.. أنا مبسوط في العموم.. أنا مش جاهل متقلقيش مش هقولك لو مجبتيش الولد هتجوز عليكي هههههه.

أريانا : طيب تصدق أن أنا اللي نفسي في ولد.

عبد العظيم: ليه بقى؟

أريانا : علشان يبقى شبهك.. علشان ياخد منك كل الصفات.. علشان تبقى في واحدة تانية محظوظة في الدنيا وتتجوز أرق وأطيب راجل في العالم.

عبد العظيم: أنتي اللي أرق ست في الدنيا ربنا يخليكي ليا ويقومك بالسلامة.. لسه مقررتيش هتسميه إيه؟

أريانا : لا قررت بس مستنية رأيك.

عبد العظيم: لا احنا اتفقنا أول مولود على مزاجك؟

أريانا : لا لو بنت أنا هسميها لو ولد أنت سميه.

عبد العظيم: طيب لو بنت هنسميها إيه؟

أريانا : هنسميها ربنا.

عبد العظيم: حلو أوي.. ده قريب من اسمك.

أريانا : أيوة.. كمان يوناني.. وبنفس المعنى.. الطاهرة صاحبة العفة.

عبد العظيم: طبعًا أمال بنت القمر هتكون إيه يعني؟؟ ما هو أكيد قمر زيها في كل حاجة.. ربنا يقومك بالسلامة.

أريانا : يا رب.

لم تمر على هذهِ المحادثةِ ٤٨ ساعةً إلا وكانت «ربنا» في الدنيا، كانت كأمهَا حقًا، جميلةَ المنظرِ، بيضاءَ اللونِ، هادئةً لا تبكي إلا قليلًا، فلا تَشعر بوجودهاِ من حسنِ طبعهاِ،

لكنها كانت تحملُ «وحمةً» يحملها أبوها خلفَ أذنهِ اليمنى، كيسًا من الدمِ الأحمرِ الصغيرِ، لكنه منفجرُ الاحمرار عند «ريتا» لأنها ورثت البشرةَ البيضاءَ من أمهاِ، فكان يقول عبد العظيم دومًا تركت كلَ شيءٍ فيَّ وأخذت وحمتيِ التي أخذتهُا من والديِ، فلا بد أن هذه الوحمةَ جزءٌ من الميراثِ.

كان يجلسُ عبد العظيم بالساعاتِ ينظرُ لها ويتأملهُا، وبريانا تَحسدها على اهتمامِه بها، يدققُ النظرَ في أقلِ التفاصيلِ، كأنه يُريد أن يَحفظ ملامحهَا كي لا يُخطئ بها، هكذا الرسامُ يركزُ في التفاصيلِ كي يُخرجَ المتشابهاتِ والاختلافاتِ ويعرف الزوايَا ليُتقن التقليدَ، لم يُرجعه إلى مَرسمهِ إلا «ريتا» دخل مرسمَه مرةً ثانيةً كي يَرسمهَا، وتحدى نفسهَ أن يَرسمهَا من خيالهِ كما رسمَ أمهَا، سهر يومين كاملين لا يُفارق المرسمَ إلا للنومِ، حتى في ساعاتِ النومِ كان يَأخذ منها لينظرَ لابنتهِ الأولى، فرحتهِ الأولى التي سَحرته أكثرَ من أمهاِ نفسهِا.

أنجز الرسمةَ في يومين، وجاء بها إلى أريانا وهو فرحٌ مسرورٌ، كأنه يَزف لها خبرًا مهمًا.

عبد العظيم: شايفة.. شايفة يا أريانا بنتك قمر إزاي؟

أريانا : يعني أنت سايبني بقالي يومين بنام لوحدي.. وبعدها تنام جنبي ساعتين وتقوم تاني علشان ترسم؟

عبد العظيم: ما أنتي مشغولة كمان بدروسك في التاريخ.

أريانا: تاريخ إيه وكلام فاضي إيه؟

عبد العظيم: مالك يا أريانا .. هو أنا برسم مين؟! دي بنتنا.

أريانا (باكية): أنا عارفة أنها بنتنا يا عبد العظيم.. بس أنا محتاجة تكون جنبي.. أنت عارف أنا معنديش حد يبقى جنبي.. أنا متضايقة جدًا أن اللي واقف معايا في موقف زي ده شغالين في البيت مش حد من أهلي.

عبد العظيم (خافيًا شيئًا ما في صدره): يا حبيبتي.. يا حبيبتي إحنا مش تجاوزنا الموضوع ده بقى! ليه بتحسسيني أني مقصر معاكي في حاجة أو مش حواليكي.. ما أنا ليل نهار معاكي ومن يوم ما اتجوزنا وأنا حواليكي.. أنا حتى المرسم مدخلتهوش غير علشان بنتنا.

أريانا : أنا عارفة أنك مش مقصر أنا اللي حساسة حبتين.. أنا آسفة.

عبد العظيم: لا أسف ولا حاجة.. مقولتيليش رأيك إيه في الرسمة دي؟

المرةُ الأولى التي يشعرُ فيها عبد العظيم أنه مرهقٌ من أريانا، الفيلمُ الذي تُعيده وتُزيده كلَ ما مروا بمناسبةٍ، لم تكن السابقةَ الأولى ل أريانا التي تَذكرُ فيها فكرةَ أنها بلا أهلٍ، ولن تكون الأخيرةَ فذكرتهَا قبلَ الزواجِ، وليلةَ الدخلةِ التي بكت فيها لأنها ليس لها أحدُ ليطمئن عليها

حتى، وبعد وصولهمِا الفيلا كانت المرةَ الثالثةَ عندما بكت لأنها لم يزورها أحدٌ وسمعت هانم وهي تقول «دي شكلها مقطوعة من سجرة» وغيرهِا وغيرهِا من المناسباتِ التي لم تُفوت واحدةً منهم إلا وبكت وذكرت الوحدةَ وحرِمانهَا من أهلهِا.

لكن لماذا هذه المرةَ لم يتحمل عبد العظيم هذه الكلماتِ؟ هو لم ينطق بهذا حقًا لكنه شعر به، شعر أنه يتحمل ذنبًا ليس له به علاقةٌ، لم يفعل ما يُعاقبُ عليه كلما تذكرت أريانا، لكنه تجاوزَ الأمرَ مع نفسِه ولم يُفاتحها حتى، وظن أنه موضوعٌ بسيطٌ وسيمر، لكنه بداخلهِ، لم يمر، وفي هذا اليومِ وُلدت المشكلةُ الأولى، وُلد الشعورُ السلبيُ الأولُ تجاه أريانا، لم يشعر بذلك من قبل، لكنه سيُشعر كثيرًا بهذا الشعورِ في المستقبلِ.

# أنورُ والنيلُ والجامعةُ

هانم: يا ألف نهار أبيض.. يا ألف نهار مبروك.. الصلاه ع النبي ف عين كل نسوان البلد.. ابني الأستاااذ أنور دخل الجامعة.. لو سمعت واحدة منهم بعد كده بتقول اسمك من غير أستاذ هطلع عين أم اللي خلفوها.. ده أنا هوزع صندوق ساقع لأهل الشارع كلهم ولو أنهم كلاب ميستهلوش.. بس عشان أكسر سمهم ليحسدوك.

أنور: حتى وأنتي فرحانة بتشتمي الناس؟؟ أنتي إمتى هتهدي بقى ولسانك هيبقى نضيف؟

هانم: إيه يا أستاذ أنور؟؟ خلاص هانم بقت مش عجباك؟؟ بقيت أفندي خلاص؟

أنور: لا يا هانم.. أنتي أَمَه هانم اللي بحبها.. بس خلاص طريقة الحياة دي مبقتش لايقة علينا.. مبقاش ينفع أبقى أنا في الجامعة وأنتي بتضربي الستات في الشارع وتشتميهم وكلهم بيدعوا عليكي.. نفسي الناس تقول إني كويس زيك.. ميقولوش الحمد لله مطلعش لأمه.

هانم: أنت بتستعر مني يا أنور؟؟ بتستعر مني بعد ما خليتك أفندي ودخلت الجامعة؟؟ طب يا ابني روح الله يباركلك.

أنور: إيه يا أمَه.. هتستخدمي الوش التاني؟؟ وش إنك

تصعبي عليا؟؟ أمَه هانم.. أنا ابنك يعني فاهمك.. فاهمك وعارف كل حاجة بتعرفي تعمليها.

هانم: يعني أنا بمثل عليك يا أنور؟؟ أنت كده متحبنيش أفرح.. تلاقيني فرحت دوغري تكتمني وتكسر فرحتي.. حسبي الله ونعم..

أنور: كملي.. كملي ما أنتي واخدة على كده.. من وساخة لسانك بقيتي عاوزة تدعي عليا أنا كمان.

هانم: لا مش هكمل يا ابني.. مش هكمل.. ربنا ياخدني ويريحك من العار ده.

أنور: طب مش لما أخلص من العار الأولاني أبقى أخلص من التاني؟؟ أنتي الوحيدة اللي ف إيدك تريحني وتبرد قلبي ومبتعمليش كده !! أنا .. أنا مستغرب إزاي هاين عليكي أبقى كبير وشحط كده ومش عارف مين أبويا وأنتي مش راضية تقوليلي.. هانم أنا ابن حرام يا هانم؟؟ والله العظيم أنا هرد بأي حاجة بس قوليلي.. عرفيني.. مين أبويا ولا أنا جيت إزاي؟؟ وكنا فين قبل ما نيجي هنا؟؟ ليه تسيبي الناس تعايرني؟؟؟!!

هانم: ده اللي يعايرك.. أجيب رقبته على صدره.

أنور: كفاية بقى.. كفاية بلطجة وقلة أدب وقلة قيمة.. قوليلي دلوقتي حالًا أنا ابن مين؟؟ أنا ابن مين؟؟ ليه الناس بتعايرني وبتقولي إني جيت هنا وأنا عندي سنتين.. أنا حتى

متولدتش هنا.

هانم: مين بنت الكلب اللي قالتلك كده؟؟ هى نحمده والنبي لشق بطنها بنت الهفأ.

أنور ممسكًا برقبتها: بسسسس.. كفاية بقى.. وانطقي.. انطقي.. أنا مين؟؟ انطقي لأطلع روحك

هانم صارخة: يا لهووووي.. يا خراااابي.. أنور ابن النجس عاوز يقتلني.. عاوز يقتلني.

أنور: طب ما تقوليلي هو مين؟؟ قولي يا ولية يا كافرة.

هانم: يا لهووووووي انجدوني يا ناس.. انجودني .. هموت.. أنور هيموتني .. هيموتني.

افتعلت هانم هذا الصراخَ لتهرب من الإجابةِ، هانم لن تُجيب على أنور، لو كانت ستُجيب لكانت قالت له منذ سؤالهِ للمرةِ الأولى، هي تُريده أن يعيشَ دون أن يَعرف، لأنه لو عَرف لن يعيش، أو بالأصحِ لن يَعيش معها، هانم لا تملك في الدنيا الآن إلا أنور، أنور وفقط، وتَعرف أنها لن تَملك غيرَه هي الآن تجاوزت الأربعينَ، لن تتزوج، لن تُنجب، لن تُحب، فقدت هانم كلَ مشاعرِ الحبِ ولن يكون عندها استعدادٌ لخسارةِ أنور، هي تُريد أنور وفقط.

ترك أنور بيتَ هانم، لا يَعرفُ أين يذهب، هذا اليومُ المُفرحُ ضِمنيًا أصبح من أسوأِ أيامِ حياتهِ، يومَ أن حقق هدفهَ والتحق

بكليةِ الآثارِ نفسَه اليومَ الذي تجرد فيه من كلِ ذرةِ حبِ لهانم، أصبح أنور الآن يَراها عدوةُ حياتِه التي تستطيع أن تجعلهَ شخصًا عاديًا مثل باقيِ البشرِ، أو تجعله شخصًا منعوتًا دائمًا بالعارِ.

شيءٌ صعبٌ أن يكون حلمُ حياتكِ أن تكونَ شخصًا عاديًا، وهل في ذلك ميزةٌ؟! نعم هناك العديدُ من الميزاتِ في أن تكون شخصًا عاديًا، على الأقلِ غيرِ منعوتٍ بعارٍ لم تقم به، لا تُحاسب على ذنبٍ ليس ذنبكَ، هكذا كان أنور يُحدثُ نفسَه دائمًا، كان يرى أنك ما دمتَ تستطيعُ أن تُجيبَ على الأسئلةِ العاديةِ فأنت في نعمةٍ شديدةٍ، مَنْ أنت؟؟ ما اسمك؟؟ من والدُك؟ ماذا يعمل؟؟ ما أصولُ عائلتكِ؟؟ هل أنت تُشبه أمكَ أم أبيك؟؟ هل تريد أن تكونَ مثلَ والدك؟؟

تخيل أن هذه الأسئلةَ التافهةَ تُمثل معاناةَ حياةٍ لشخصٍ ما؟؟!! هذه الأسئلةُ الساذجةُ البدائيةُ !!

فما بالك بأسئلةٍ أصعب! هل أنا ابنُ حلالٍ؟؟ هل أنا طفلُ يتيمٍ؟ أم لأبٍ ضالٍ؟؟ أم لأمٍ خائنةٍ انتقم منها الأبُ بتخليهِ عنا؟؟ هل شَك في نسبي له فتركنا؟؟ ذنبُ من هذا الذي أعيشه؟؟ ذنبُ من؟؟

لم يعرف أنور أين يذهب، ليس له أحدٌ غيرَ الخالِ حامد المشتركِ في جريمةِ حياتهِ، التابعِ لهانم التي يكرهها، لم يجد أمامَه إلا أستاذهَ ووالدهَ الذي تمنى الأستاذ جمال.

الأستاذ جمال: إيه يا أنور مالك؟؟ مالك معيط ليه؟

أنور باكيًا: أنا تعبان أوي يا أستاذ جمال.. تعبان أوي.

الأستاذ جمال: طب تعالى تعالى بس اقعد جنبي .. في إيه يا ابني متخضنيش عليك.. اهدى وبطل عياط.

أنور: أنا نفسي ربنا ياخدني يا أستاذ جمال.. أنا ليه مبموتش زي العيال اللي بتموت؟؟

الأستاذ جمال: يا ابني بعد الشر عليك.. أنت عاوز أبوك جمال يموت وراك؟؟ قولي بس بتقول ليه كده إيه اللي حصل؟؟ وإيه اللي خلاك تعيط وتزعل كده؟

أنور: هانم يا أستاذ جمال.

الأستاذ جمال: مالها هانم عملتلك إيه؟؟

أنور: عملتلي إيه؟؟ هو حد عمل في حياتي زي هي ما عملت؟؟!! هو أنا أعرف أنا مين يا أستاذ جمال؟؟ أنا أعرف أبويا مين؟؟ هو في حد عايش كده؟؟

الأستاذ جمال: أنت عندك حق يا ابني.. بس إيه اللي جدد التفكير ده ف دماغك؟

أنور: ولا حاجة.. أنا عمري ما وقفت تفكير في الموضوع ده.. بس من ساعة النتيجة ظهرت وكنت مستني التنسيق وأنا بفكر.. أنا خلاص هخرج من البلد هروح الجامعة.. ناس تانية ومجتمع تاني.. ناس مش خايفة تسألني لهانم

تبطلج عليهم.. خارج أعيش يا أستاذ جمال.. خارج أقابل الدنيا بطولي.. هقابلها إزاي وأنا مش قادر أصلب طولي؟؟!! أقول للناس إيه لو حد سألني؟؟

الأستاذ جمال: وهما مين هيعرفهم بس يا أنور؟

أنور: هو أنا داخل الجامعة لوحدي يا أستاذ جمال؟؟ ما دفعتي كلها معايا.. وكلهم عارفين حكايتي.. وأنا ليه أهرب وأتدراى؟؟ أنا عملت إيه؟

الأستاذ جمال: معملتش حاجة يا أنور.. معملتش حاجة .. أنا عاوزك تهدى بس وتعالى نتكلم شوية بالراحة وبالعقل

أنور: مفيش عقل يا أستاذ جمال.. أنا مش هعيش معاها تاني .. أنا مش عاوز أشوفها تاني

الاستاذ جمال: تعالى يا حبيبي اقعد عندي هنا.. ده بيتك أنت عارف أنا مليش حد غيرك.. تعالى وخد الأوضة اللي ورا ومفيش حد هيزعجك.. بس.

أنور: بس إيه يا أستاذ جمال.. أنا هشتغل والله ومش هكلف حضرتك حاجة.

الأستاذ جمال: كده يا أنور؟؟ كده يا ابني تقول كده؟ هو أنا هغلب في مصاريفك؟ طب ده يبقى يا ريت بدل ما أنا مش عارف هسيب شوية الفلوس اللي محوشها لمين.

أنور: لا والله أنا هشيل نفسي.. أنا عمري ما هبقى حمل

عليك.. ولو حسيت كده همشي.

الأستاذ جمال: يا ابني اسمع.. المشكلة الوحيدة هنا في هانم.. هانم لا هتسيبك ولا هتسيبني

أنور: أنت عندك حق يا أستاذ جمال.. أنا لازم أبعد عن هانم .. أبعد ومتعرفش توصل ليا

الأستاذ جمال: يا ابني افهمني.. أنا والله ما أقصد.. أنا عاوزك جنبي ومطمن عليك.. بس أنت لما تبعد عن هانم هتبقى زي المجنونة.

أنور: صح .. أنا هتصرف

الأستاذ جمال: تعالى بس.. هتتصرف إزاي بس؟؟

أنور: معرفش بس هتصرف

الأستاذ جمال: طب بص.. أنا عندي شقة صغيرة في حتة اسمها المنيل في القاهرة في مصر.. أنا بس خايف عليك تروح تعيش هناك لوحدك.. والله يا ابني ده اللي قالقني.

أنور: متقلقش عليا.. ووالله دي هتبقى أكبر خدمة عملتها ليا في حياتي وعمري ما هنسهالك وأنا والله هشتغل وهصرف على نفسي ولو عاوزني أدفع إيجارها والله هدفعه.

الأستاذ جمال: بس يا أنور.. بس الله يرضى عليك.. هتعرف تباشر كليتك إزاي بس في الهم ده؟

أنور: والله أنا هناك هاخد بالي من دراستي أحسن ١٠٠٠ مرة.. على الأقل مش هيكون في هانم

الأستاذ جمال: لو حد عرف هانم هتفضحنا.

أنور: هانم لازم تعرف.. هى اللي غلط مش أنا.. مش أنا اللي هخبي نفسي.. أنا هروح آخد حاجتي وأقولها إني هعيش لوحدي بس مش هقولها فين وهعرفها إن محدش يعرف.

ذهب أنور إلى دارِ هانم، أخذ يُجمعُ ملابسهَ، كتبهَ، أوراقهَ من الأستاذ جمال، لم يجد ما يجمعَه فتيقنَ أكثر أنه ليس له شيءٌ هنا، فاستمر فيما يفعل.

هانم: وعلى فين العزم إن شاء الله يا أستاذ انور؟؟ هتسيب هانم؟؟ خلاص كبرت وعودك شد وهتعرف تعيش لحالك؟؟

أنور: آه هعيش لوحدي.. ومش عاوز أشوفك تاني إلا لو رضيتي تقوليلي حكايتي.. ويمكن كمان ساعتها متعرفيش توصليلي وأنا ساعتها هبقى استغنيت عنك وعن الحكاية كلها.

هانم: هتروح فين يعني؟؟ مفيش غير المقطوع اللي زيك هو اللي هتروحله.

أنور: اطمني الأستاذ جمال بره الموضوع ده.. ابقي روحي

افضحيه وادخلي بيته علشان تتأكدي إني مش هناك.. ما أنتي متعرفش تعملي غير كده؟

هانم: أمال هتروح فين يا أنور.. أنور أنا هموت لو مشيت من هنا.

أنور: اوعي سيبي إيدي.. عارفه لو متي؟ أنا مش هعيط عليكي.. هعيط إنك موتي من غير ما أعرف حكايتي.

هانم: طب روح اقعد مع خالك حامد.. روح وأنا والمصحف ما هاجي يمتكوا.

أنور: خالي حامد؟!! خالي حامد ده الدلدول بتاعك.. لا أنتي ولا هو تلزموني.

هانم: منتاش خارج من هنا.. والمصحف ما هتخرج غير على جثتي.

أنور: أنتي فاكرة يعني إنك لما تقفي على الباب مش هعرف أخرج وهتصوتي وتلمي الناس؟؟!! عارفة؟! أنا أكتر حاجة فرحان بيها إني هكسر قلبك وهقيد النار فيه.. علشان تجربي بتعملي إيه فيا وفي الناس.

وقفز أنور من الشباكِ على الشارعِ مباشرةً، يعرف أين يتجه، يعرف أنه ذاهبٌ بلا رجعةٍ، يتمنى الموتَ لهانم ويخشاه حتى لا يموتَ السرُ معها، أنور يُدركُ أن الرحلةَ القادمةَ غامضةٌ، لا يعلمُ عنها شيءٌ، فهو لم يخرج من قريتهِ

إلا عبرَ الإنترنتِ، ولم يتعرف على شيءٍ إلا التاريخَ، فهو لا يَحملُ في حقيبتهِ إلا بعضًا من الملابسِ، بعضًا من الكتبِ، بعضًا من التاريخِ، اختراعًا جديدًا جلبه له الأستاذُ جمال كهديةٍ يُسمى «المحمول»، والكثيرَ، الكثيرَ من الغضبِ.

وصل إلى «مصر» وعرفَ أولَ ما عرفَ أن هنا لا يُقال «مصر» إلا على الدولةِ، أما المناطقُ فلها أسماءُ، وبداخلِها الشوارعُ أيضًا لها أسماءُ، الأمورُ محددةٌ للغايةِ، الوصفُ يوجد به أرقامٌ، رقمُ العمارةِ ورقمُ الشقةِ واتجاهها بالنسبةِ للسُلمِ، ليس كقريتهِ الريفيةِ، فالوصفُ فيها قائمٌ على أن الجميعَ يعرفُ الجميعَ، بجانبِ دارِ العمِ فلان، أو خلفَ شارعِ سيدكِ فلان، أمامَ الجامعِ أو خلفَ الكنيسةِ، الأمورُ خارجُ القريةِ محددةٌ للغايةِ، الأوقاتُ مختلفةٌ، فتحولَ تقديرُ الزمنِ أو تحديدُ المواعيدِ من قبلِ العصرِ أو بعدِ العشاءِ إلى الساعةِ كذا أو كذا ونصف، حياةٌ مختلفةٌ كليًا، حياةٌ لا تُشعركَ بالأمانِ الذي تَشعر به في القريةِ، حياةٌ تُخبرك أنك المسؤولُ عن كلِ شيءٍ، وإن لم تَحمل عبئكَ لن يَحمله لك أحدٌ، وإن احتماليةَ سقوطكِ في الهاويةِ أكثرَ بكثيرٍ، بالمدينةِ تحتاج إلى الكثيرِ من المهاراتِ، والكثيرِ من التركيزِ، والكثيرِ من عدمِ الشعورِ بالأمانِ، وأيضًا الكثيرِ من الأموالِ، فإن كانَ الأستاذُ جمال لم يطلب إيجارًا للشقةِ، فللحياةِ فقط تكلفةٌ عاليةٌ، فالأكلُ والشربُ والنومُ حتى له تكلفةٌ، قرر أنور أن يستغني عن كلِ ما يستطيعُ الاستغناءَ عنه، وأقنعَ

نفسهَ أن شقةَ الأستاذ جمال التي تتكون من غرفةٍ وصالةٍ صغيرةٍ وحمامٍ غايةً في الضيقِ ومطبخٍ يطل عليه، هي قصرهُ الذي لا يحتاجُ غيرهِ، وأن المبلغَ الذي تركه معه الأستاذ جمال هو الاحتياطيُ النقديُ له في حياتهِ، ومن أولِ يومٍ يجبُ أن يبحثَ عن عملٍ قريبٍ من منطقتهِ الغريبةِ، التي تجمعُ بين مناظرِ الثراءِ الفاحشِ والعشوائيةِ، المنيل منطقةٌ تطل على النيلِ، الغنيُ يُطِل، والفقيرُ يُطِل، الكلُ هنا يُطِل على النيلِ العظيمِ، النيلُ الذي أبهر أنور للمرةِ الأولى التي رآه فيها، فكان مجرى المياهِ الذي يَعرفه يُسمى «ترعة» وكانت هذه الترعةُ هي ملجأٌ لغسيلِ «المواعين» واستحمامِ الأطفالِ ولعبهمِ في المياه، لكن هانم لم تُشركه يومًا في هذا اللعبِ، لأنها كانت تَخاف عليهِ من أشهرِ الأمراضِ حينها وهو «البلهارسيا» فلها أيضًا ما يُحسب لصالحهاِ أحيانًا.

وجودُ الشقةِ في الدورِ الأرضي حرم أنور من النظرِ إلى النيلِ من أعلى، لكنه جعله كلما احتاج له ذهب إليه، جعل العلاقةَ بين أنور والنيل علاقةً حقيقيةً قائمةً على القربِ، قائمةً على النظرِ من قريبِ، فكثيرٌ من الناسِ يفقد هذه القيمةَ حتى مع أقرب الناسِ إليهم، وأصبحَ النيلُ أقربَ الناسِ إلى أنور، أصبح صديقهَ الصادقَ الصامتَ المُعبرَ الواضحَ غيرَ المزعجِ، فكلما فضفض أنور للنيلِ رآه يبتسم، كلما بكى رآه يُهون، كلما غاب افتقده، استغنى أنور عن الناسِ بالنيلِ، وأصبح له صديقًا حقيقيًا لم يكن يتوقع أن

يجدهَ بهذه السرعةِ، ولم يتوقع أيضًا أن تأتي بدايةُ الدراسةِ بهذه السرعةِ.

أنور: ألو.. إزيك يا أستاذ جمال.. أنا مش عارف أشكر حضرتك إزاي؟؟ النهاردة كان أول يوم دراسة.. وحسيت إني عاوز أكلم حضرتك أشكرك.

الأستاذ جمال: يا أنور.. إزيك يا حبيبي.. عامل إيه يا أنور؟؟ محتاج فلوس؟ محتاج حاجة؟؟ حد مضايقك من السكان؟؟

أنور: مش محتاج أي حاجة يا أستاذي.. محتاج بس أشكرك.. أنا أول مرة النهاردة أحس إني بني آدم ليا لازمة وموجود.. الدكتور النهاردة قال إن اللي جايين من الفلاحين بيطلعوا الأوائل علشان الواحد منهم بيبقى لئيم يعمل فيها مبيذاكرش وهو بياكل الكتب .. أوعدك أطلع الأول يا أستاذ جمال ومش هكسفك أبدًا.

الأستاذ جمال: يا أنور أنا واثق فيك.. مش عاوز فلوس؟؟ هتعمل إيه يا ابني لما الفلوس تخلص؟؟

أنور: متشلش هم يا أستاذ جمال أنا بشوف شغل وإن شاء الله ربنا هيكرم متشلش همي..كفاية اللي أنت شيلته.

الأستاذ جمال: يا ابني اسمع بس.. لو محتاج حاجة كلمني قولي.

أنور: حاضر.. حاضر والله.. أنا هقفل علشان الرصيد هيخلص يا أستاذ جمال مع السلامة.

الأستاذ جمال: مع السلامة يا حبيبي.

تعود أنور على عدةِ أشياءٍ جديدةٍ كان من أهمها أن يتكلم مع نفسهِ، يحاورُ ذاتهَ، الوحدةُ في بعضِ الأحيانِ تحملُ الكثيرَ من الفوائدِ من ضمنهاِ «الاكتفاءُ بالذاتِ» أن تكتفي بنفسكِ لنفسكِ وبنفسكِ، أن تحكي وتسمع وترد وترتاح بنفسك، ألا تحتاج ألا تريد ألا ترغب، كلهُا نِعمُ أنعم اللهُ على أنور بها بجانبِ الوحدةِ، أما في هذه المرة كان الحوارُ بين أنور ونفسهِ كوميديًا.

أنور لنفسه:

أنا بس نفسي أعرف.. هو اللي بلط الحمام ده عرف يبلطه إزاي؟؟ ده أنا وأنا قاعد على القاعدة بتبقى رجلي مقفولة على بعض !! طب فكر ف إيه وهو حاطط الدش فوق القاعدة؟؟ يعني أنا هعمل كل حاجة هنا؟؟!! هقضي حاجتي واستحمى واغسل وشي وأعمل كل حاجة؟؟

طب بلاش !! المطبخ إزاي قريب كده من الحمام؟؟ ده بينهم ربع متر.. البوتاجاز أكيد مش عارف يفرق بين نوع الغازات اللي حواليه.. بس أديه شغال.. وبعدين هو أنا هطبخ يعني؟ أنا هقضيها فول وطعمية وكشري وفطير.. مش لازم أتنك يعني زي العيال اللي في الجامعة.. الحاجة

الوحيدة اللي لازم أعملها هى إني أجيب شوية لبس أحسن من دول علشان مبقاش شكلي فلاح.. العيال لابسين حلو أوي.. لازم أعرف بيجيبوا لبسهم منين.. مينفعش يصنفوني الفلاح اللئيم اللي جاي يتعلم ويطلع الأول بخبثه.. لازم أكون شبههم، علشان محسش بغربة معاهم كمان فوق الغربة اللي أنا فيها.. كفاية غربة بقى.

كان أنور يشعرُ بالنقصِ، بالنقصِ في كلِ شيءٍ، التاريخُ، الشكلُ، الأصلُ، المستقبلُ، لكنه كان يعلم أن هذا شعورٌ بالنقصِ ولم يسمح له أن يُؤثر على نفسيتِه، فكان لا يكره أحدًا، ولا يحقد على أحدٍ، ولا يتمنى زوالَ النعمةِ من أحدٍ، كان فقط يتمنى أن يكونَ في حالٍ أفضل، بل يتمنى أن يكون الأفضلَ، دون أن يحمل أيَ شعورٍ سلبيٍ لأحدِ، لم يكن هذا التصالحُ وليدَ اللحظةِ، لكنه مما تعلم من الأستاذِ جمال، تعلم الطموحَ الخالي من الكراهيةِ، تعلم الأملَ الخالي من الحقدِ، تعلم الرضا، تعلم أن من يحمل الرضا بقلبهِ هو الرابحُ الأكبرُ، لا يستطيع أن يتسلل لقلبهِ النقصُ الذي يُدركه عقلهُ، فالنقصُ المدركُ بالعقلِ، حالةٌ يمكن علاجهُا، أما النقصُ المتمكنُ من القلبِ مرضٌ لا يُمكن أن يُعالج بشتى الطرقِ، فمن يتمكن النقصُ من قلبهِ، يتمكن من حياتهِ ومن تصرفاتهِ ومن سلوكياتهِ فيتحكمُ في مستقبلهِ، أما المدركُ له فيُغيره ليغيرَ حياتهَ إلى الأفضلِ.

تمر الشهورُ، وينتقل أنور من عملٍ إلى عملِ، من عاملٍ

في معملٍ «للمخلل» إلى صبي في ورشةِ ميكانيكا، إلى شيّالٍ إلى فرانٍ، جرب أنور كل الأعمالِ المتاحةِ، وكان كُلما سألَ الأستاذُ جمال عن عملٍ، يقول له «لو حلال اشتغل» وكان يقول له دائمًا «كل حلال يا ابني جواه حرام ابعد عنه» الجملةُ التي شغلت بالَ أنور كثيرًا ولم يَفهمها حتى هذه الحادثةُ.

أنور: تحت أمرك حضرتك عاوز بكام؟؟

العميل: لا أنا عاوز حاجة تانية.

أنور: تحت أمرك.

العميل: أنت متعرفنيش.. بس أنا عرفتك.. وعارف أنك عايش لوحدك هنا وقاعد بتتنطط من شغلانة للتانية.. عيل مجدع وابن حلال.

أنور: غريبة أن حضرتك تعرفني.. بس شكرا على كلامك.. أؤمرني.

العميل: الأمر لله.. أنا عاوز منك خدمة.. وبعدها هتتنقل نقلة تانية خالص.. هتشتغل شغلانة محترمة تعرف تشوف فيها جامعتك ودراستك.

أنور: أنا الحمد لله مبسوط هنا ومشتكتش.. هو حضرتك عاوز إيه؟؟

العميل: أنا أخو عمك سيد صاحب المعمل.. وعاوز

أعمل فيه خدمة بس هو زي ما تقول مستحي مني.. ف أنا عاوزك تعملهالي من غير ما يعرف لجل يعني ما يتضايقش.

أنور: ما حضرتك ممكن تقوله أو تعملها أنت.

العميل: لا مهو إحنا بينا شوية ضديات كده مخلياه مش مآمن ليا.. ربنا يجازيهم بقى ولاد الحرام اللي وقعوا ما بينا.

أنور: وحضرتك عاوزني أعمل إيه؟؟

العميل: أبدًا.. دي مادة بتخلي المخلل مياخدش وقت في سواه.. بتخليه يتخلل بسرعة ويشد حيله كده.. هتحطها في البراميل ومفيش ٢٤ ساعة هتلاقيه بقى ملبن وتبيع منه.

أنور: طيب وعم سيد يرفض حاجة زي دي ليه؟

العميل: ضلامة مخ بعيد عنك.. عاوز يشتغل بالقديم زي ما أبونا الله يرحمه ما علمنا.. أصل كان ابن أبوه أوي وقريب منه أوي أوي.. وهو اللي ورثه المعمل والصنعة.

أنور: آه شوفت صورة الحاج الله يرحمه وحكالي عنه مرة.. بس هو مجبش سيرتك خالص.

العميل: ما أنا قولتلك في مشاكل.. خد أنت الكيس ده وابقى حط منه زي ما قولتلك.

أنور: حاضر يا عم.. هو اسم حضرتك إيه؟؟

العميل: حسين.. عمك حسين مؤنس.

أنور: ماشي يا عم حسين.

حسين: وخد دول.. خليهم معاك وأنا هشوفك بعد ما تعمل اللي قولتلك عليه.

عَلِم أنور أنه إما احتمالٌ من اثنين لا ثالثَ لهما، إما أنه اختبارٌ من العمِ سيد صاحبِ المعملِ، وإما أنه اختبارٌ من اللهِ في وقتِ حاجةِ ليتعرف على نفسهِ، إما الحرامُ السهلُ الذي وجده داخلَ الحلالِ المُجهدِ،

لم يرفض أنور ليختبر هو الآخرُ العمَ سيد، هل هو بالفعلِ يَشك فيه لدرجةِ أنه يَضعه في ذلك الاختبارِ؟؟ أو ليَظهر للعمِ سيد أنه شخصٌ أمينٌ وذكيٌ، لم يترك من يريد إيذاءه دون دليلٍ فأخذ الفلوسَ والمادةَ وانتظر العمَ سيد حتى يأتي.

أنور: عم سيد محتاج أتكلم مع حضرتك.

عم سيد: في إيه يا أنور خير؟

أنور: خير إن شاء الله، محتاج بس أقول لحضرتك حاجة.

عم سيد: قول متقلقنيش.

أنور: دلوقتي أنا مش عارف حضرتك اللي عامل كده ولا دي مشكلة فعلا؟ أنا جالي واحد قال إنه أخوك قال إن اسمه عم حسين، واداني فلوس واداني مادة أحطها في المخلل

أنت مش راضي تحطها وقالي إن ده في مصلحتك بصراحة أنا مش عارف..

عم سيد «مقاطعًا»: اوعى يا أنور تكون حطيتها.

أنور: لا طبعًا يا عم سيد.. أنا مردتش أرفض علشان حضرتك تعرف مين اللي عاوز يعمل كده ويبقى معاك دليل.. وبصراحة أنا شكيت أن حضرتك بتختبرني.

عم سيد: لا يا ابني مبختبركش.. ده ربنا اللي بيختبرنا كلنا.. وزي العادة حسين سقط في الاختبار.. حسين ده عمره ما نجح في اختبار يا أنور.. حسين أخويا اللي كان بيكرهني وبيكره أبويا.. كان فاكر أن أبويا بيحبني أكتر منه.. عمره ما بص لنفسه وعرف أنه هو اللي طول عمره هاجج وبيدور على مصلحته هو وبس.. مبيفكرش غير في الأذية.. سايب نفسه وبيفكر في الناس بس.. ربنا يهديه.. ربنا يهيدك يا حسين.

أنور: مالك يا عم سيد؟؟ أنت بتعيط؟

عم سيد: آه بعيط يا أنور.. حسين ده كان السبب في موت أبويا.. لما وقف قدامه وقاله إنه راجل ظالم.. وقاله إنه بيكرهه وميشرفهوش إنه أبوه .. أبويا محطش منطق.. سكت.. وباالليل نام مصحيش.

أنور: أنا آسف يا عم سيد والله.. آسف إني قلبت عليك المواجع.

عم سيد: المواجع مش محتاجة حد يقلبها يا أنور.. هى عايشة وصاحية ومبتنمش.. أنا أبويا عايش معايا من يوم ما مات.. الحبايب أول ما بيموتوا بتبدأ حياتهم جوانا.

عم سيد: أنور.. ساكت ليه يا ابني؟؟

أنور: أبدًا يا عم سيد.. ربنا يعينك ويصبر قلبك.

عم سيد: مالك يا ابني؟؟

أنور: أبدًا يا عم سيد والله.. سرحت بس في كلامك.. وارتباطك باللي مشيوا.

عم سيد: هو احنا لينا غير اللي مشيوا يا ابني .. هات.. هات اللي ادهولك حسين

أنور: اتفضل يا عم سيد.

عم سيد: لا خلي الفلوس معاك.. حار ونار في جتته.. حلال عليك أنت يا أنور.. روق نفسك بيهم.. وخد دول كمان مكافأة على أمانتك.

أنور: الأمانة واجب يا عم سيد ميتاخدش عليها مكافأة .. وبعدين أنا كنت عاوز أشتري لبس ومش عارف منين.. وأديني ربنا رزقني.. كده كفاية أوي.

عم سيد: طيب النهاردة أجازة علشان تشتري لبسك وتروح بيه بكرة إن شاء الله.. اوعى تروح تشتري من المحلات

بتاعة الفتارين دي.. انزل الوكالة.. هتلاقي حاجات حلوة وعلى قد إيدك.. متفرتكش الفلوس كلها.. حسين مش هيجي هنا تاني هههههه.

أنور: لا خلاص هو كده عمل اللي عليه.

أصبح أنور الطالبَ الأكثرَ شهرةً بالصدفةِ، لكنه أصبح الأكثرَ تميزًا بتفوقهِ، بالأوقاتِ التي يقضيها في المكتبةِ الكبرى للجامعةِ، بحبهِ وشغفهِ لدراستهِ، هو كان يحلم بهذا اليومِ، كليةِ الآثارِ، جامعةِ القاهرةِ، كان مؤمنًا أن الجدرانَ هي من تحمل القصصَ والحكاياتِ الحقيقيةَ، ولم يُصدق نفسَه عندما استطاع أن يفهمَ ما على الجدرانِ، الجدرانُ هي الأصدقُ، الجدرانُ لا تتغير، لا تكذب ولا تكتم الحقيقةَ، أصبح أنور مولعًا بالتاريخِ أكثرَ وأكثرِ، وأخذت سنواتُ الجامعةِ تمر سنةً تلو الأخرى، وهو المتفوقُ، النابعُ، المحبُ الأكثر تميزًا، لكنها لم تنساه، ولم تتوقف عن محاولةِ إعادتهِ لحضنهاِ، هانم لم تتركه.

# مذكراتُ د. عبدالعظيم

## الملفُ التاسعُ «المولودُ الثاني»

هل هذه المفاجأةُ سعيدةٌ أم تعيسةٌ؟؟ هل سيفرحُ عبدُ العظيم أنه سيُرزق بالمولودِ الثاني له من أريانا قبلَ مرورِ عامٍ من عمرِ مولودتهِ الأولى «رينا»؟ لا يعلم أحدٌ ما يشعرُ به الأبُ خصوصًا ذو الأصولِ الريفيةِ، في الريفِ يحبُ الأبُ العزوةَ، الأبناءُ بكثرةٍ، الذكورُ أكثرَ من الإناثِ، لكن في حالةِ عبد العظيم الوضعُ مختلفٌ، كان يتمنى أن يُنجب أنثى، كان يُريد أن يعيشَ حياتهَ معها هي وأمهُا على هوادةٍ، لا يريدُ العزوةَ بالعددِ، بل يريدُ أن يتركَ للدنيا أبناءًا تفخرُ بهم، عبد العظيم مختلفٌ، لذلك اختار أريانا، لذلك لم يشعر غضاضةً في تاريخهاِ الذي لا يعرفه، ولا أهلهِا الذي لم يراهم، ولا حتى شعورهُا بالوحدةِ الذي اعتقد أنه عالجهَا منه، لكنه يكتشف مع الأيامِ أنها لم تتجاوز هذه الأزمةَ، بل ولن تتجاوزها.

عبد العظيم: بس ده مكنش اتفاقنا

أريانا : اتفاق إيه؟؟

عبد العظيم: متفقناش إننا نخلف تاني بالسرعة دي

أريانا : هو إنك تخلف مني تاني محتاجة اتفاق؟

عبد العظيم: آه محتاجة اتفاق ومحتاجة ترتيب ومحتاجة

تخطيط

أريانا : علشان إيه كل ده؟؟

عبد العظيم: علشان منجبش أطفال منعرفش نربيهم ويطلعوا مش لاقيين نفسهم.. علشان لما نسيبهم ونموت يلاقوا حاجة يتسندوا عليها.

أريانا : ما إحنا هنسيبهم يتسندوا على بعض.. بدل ما حد منهم يطلع يلاقي نفسه لوحده.. ويعيش اللي عشته.

عبد العظيم: اللي عشتيه؟؟ يعني أنتي بتعملي كل ده علشان نفس العقدة اللي مخلصناش منها واللي هتبوظ حياتنا دي؟؟

أريانا : عقدة؟

عبد العظيم: أيوة طبعا عقدة أمال أنتي فاكرة إيه؟؟ يعني حد بيتحكم في كل تصرفاته حاجة واحدة بس كان بيعاني منها؟؟

أريانا : يعني أنت بدل ما تفرح.. بتقول إني معقدة؟؟ أنا متشكرة جدًا الحقيقة.. متشكرة أوي

عبد العظيم: لا.. مش هنقفل النقاش على كده.. لا.. لازم تعرفي أنتي بتعملي إيه وبتعمليها ليه

أريانا : ها بقى يا عبد العظيم أنا بعمل إيه وبعمله ليه؟؟

عبد العظيم: أنتي بتجيبي أطفال ورا بعض علشان يلحقوا يكبروا ويبقوا حواليكي.. علشان حضرتك متعيشيش لوحدك.. علشان خايفة من الوحدة وخايفة تكبير.. ومش بعيد كمان خايفة مني.

أريانا : أنا عمري ما كنت خايفة منك.. لكن النهاردة بقيت بخاف.. بقيت أخاف لما شوفت في عينيك كل الزهق ده مني.. ومن.. ومن عقدتي.

عبد العظيم: تاني؟؟! تاني هنغير الموضوع ونروح لحتة ملناش أي علاقة بيها دلوقتي؟؟ هنسيب المشكلة الأساسية ونروح لنفس النقطة؟؟

أريانا : لا مهو حسب كلامك إن عقدتي هى النقطة الأساسية أصلًا.. عمومًا تقدر تاخد قرار إني أنزل الحمل دلوقتي لو تحب.

عبد العظيم: بصراحة هو كل اللي أنا محتاجه إنك تسيبيني أفكر.. أفكر هنعمل إيه ومين هيراعي «رينا» في وقت حملك.

أريانا : ليه؟؟ هو أنت شايف إني هموت؟؟ محتاج حد ياخد باله من بنتنا؟؟ وأنت هتكون فين؟؟

عبد العظيم: أنا؟؟!! عاوزاني أقعد أرضع البنت؟؟ أنتي مش في حالتك وأنا مش هكمل النقاش ده.

تركها عبد العظيم، تركها وترك معها بعضًا من حبهِ لها، وبعضًا من انبهارهِ بها، تركها وهو لا يعرف هل سيعود يعشقها كسابقهِ أم أنه فات الأوانُ، وتحكمت عقدةٌ واحدةٌ في مصيرهماِ!!

أخذ يفكر عبد العظيم في مرسمِه، يومٌ كاملٌ لا يفعل شيئًا إلا التفكيرَ، يشرب القهوةَ ويُفكر، كان يَطلبها من هانم بشكلٍ مبالغٍ فيه، لم يفعله من قبلُ، عاد ليدخن السجائرَ بعد أن كان قد أقلع عنها لأجلِ ابنته، يشعر عبد العظيم بانتكاسةٍ في مشاعرهِ ونفسهِ وإرادتهِ.

هانم: دي سابع قهوة يا عبد العظيم بيه.

عبد العظيم: وأنتي مالك؟؟ أنتي هتحاسبيني أنتي كمان؟؟

تفهم هانم الإشاراتِ، فرِحت لمجرد أن سمعت «أنتي كمان» جملةٌ عاديةٌ ستمر على أي شخصٍ مرورَ الكِرام، لكن على هانم، هذه المرأةُ لا يمر عليها شيءٌ لا تُفسره ولا تستفيدَ منه، عَرفت من تكوينِ هذه الجملةِ ومن طريقةِ أدائهاِ أن حدثًا ما وقع بين عبد العظيم و أريانا، أوصل عبد العظيم لطريقٍ مسدودٍ مع نفسهِ، وصل به لهذه الدرجةِ من الغضبِ والرغبةِ في العزلةِ، فعَرفت أنها فرصتهُا قد آنت، وأن عليها استغلالَ الفرصةِ بأي شكلٍ وأي طريقةِ.

هانم: وأنا أقدر يا سعادة البيه؟؟ ده أنت جزمتك فوق

راسي.. وكلامك نافذ.. وطلباتك.. لا طلباتك إيه !! ده أنت الإشارة من حضرتك أوامر.. هو حد يطول حضرتك تؤمره؟!

عبد العظيم: طب روح هاتيلي قهوة تاني.

هانم: أنا غرضي أقول حاجة لحضرتك بس خايفة.

عبد العظيم: قولي يا هانم.

هانم: كده غلط على صحة حضرتك.. وإحنا منستغناش عن حضرتك.. ده إحنا عايشين بحسك.. ملناش قيمة ولا لازمة من غير نفسك معانا.. أنت غالي علينا أوي يا عبد العظيم بيه ونتمنالك الرضا ترضى.. أنا زارعة شوية نعناع في الجنينة هعمل لحضرتك منهم يروق دمك ويهدي بالك المشغول.. والله لو أعرف مشغول في إيه؟؟ كنت خدمتك برموش عنيا وشلت عنك على قد ما أقدر وزيادة لجل بس ترضى.

عبد العظيم: طيب روحي اعمليلي نعناع.. وهنشوف موضوع تشيلي ده لأن شكلك هتشيلي فعلا.

هانم: رهوان يا سعادة البيه هتلاقي النعناع عندك.

فُتح الباب، فُتح الباب التي ظلت سنواتٍ تنتظر فتحَه، شعرت في هذه اللحظةِ أن حلمهَا بدأ في الاكتمالِ، أيقنت أنها وجدت المفتاحَ الذي ستَفتح به لنفسهاِ لتدخل حياةَ عبد

العظيم، عَرفت أنها الخطوةُ الأولى في طردَ أريانا من قلبَ عبد العظيم، هانم لن تترك الفرصةَ.

هانم: اتفضل يا سعادة البيه

قالتها هانم هامسةً في أذنِه، لامس هواها الساخنُ خدهَ عن عمدٍ، رافق هواها سُمها وخرجا ليدخلا جسدَ عبد العظيم الذي اقشعر، لكنه لم يُمانع، نظر إليها بعد غفوةٍ في مشاعرِه، قارن للحظةٍ بين صوتهِا وصوتِ أريانا الحزينِ، رأى في خنوعهِا شيئًا لا يجده في أريانا، وجدَ في عرضهِا لنفسهِا بسهولةٍ مفرًا من أحزانِه، لكنه أفاق ثانيةً على صوتهاِ.

هانم: يا بيه.. اتفضل يا سعادة البيه.

عبد العظيم: شكرًا يا هانم.. اقعدي يا هانم.

هانم: ميصحش يا سعادة البيه.. تتقطع رجلي قبل ما أقعد قُبال حضرتك.

عبد العظيم: اقعدي.. أنا اللي بقولك.

هانم: لا يا سعادة البيه.. أنا هقعد هنا.

جلست هانم بالقربِ من قدميهِ، اقتربت حتى تُسمعه أنفاسهَا، نظرت من أسفلِ داخلَ عينيهِ، أمعنت في سماعهِا له، أَولتُه اهتمامهَا كأنه الشيءُ الوحيدُ في الكونِ، لم تهمس، لم تتحرك، كانت تسمعه وتنظر في عينيِه وفقط،

كانت تقول له بعينيها كلماتٍ لا تمت بما يقول بلسانِه، بل كانت ترد على شيطانِه الذي علمت وتأكدت أنها أيقظته من سُباتهِ الإجباري، شعر عبد العظيم بسيادتهِ على الموقفِ، عرف أنه لن يُرفض له طلبٌ، شعر براحةِ بالهِ التي فقدها مع أريانا من مجردِ جلسةٍ ساديةٍ يُحبها، وتصرفٍ مازوخي تصنعته هانم.

هانم: قول يا سعادة البيه .. أنا كلي ملك حضرتك.

عبد العظيم: العفو.. أنا عاوزك تساعدي أريانا هانم في تربية «رينا».

هانم: أنا عيني للهانم الصغيرة و أريانا هانم.. حضرتك تؤمرني.

هناك بعضُ الفرصِ يجب أن تُسمى «الفرصةَ الذهبيةَ» ما هذه الفرصةُ التي سمحت لهانم أن تدخلَ في كلِ تفاصيلِ حياةِ عبد العظيم و أريانا، بل وبنتهما «رينا» هذا أكثرَ مما كانت تَحلمُ به هانم.

عبد العظيم: أنتي هتلازمي أريانا هانم في كل شبء وهتكون معاكي رينا طول الوقت تقريبًا.. لأن أريانا هانم حامل ومش هتقدر تراعي رينا كويس.

هانم: يا حومتي! حقك عليا يا سعادة البيه.

عبد العظيم: ولا حقك عليا ولا حاجة.. هى فعلًا مشكلة

بس أهو اللي حصل.. وأنتي هتحلي معانا جزء من المشكلة دي.. وشوفي لو عاوزة تجيبي حد يساعد في إدارة الببت مكانك قوليلي.

هانم: لا يا بيه.. ده أنا عمري كله للبيت ده.. ولصاحب البيت يا سعادة البيه.. وأصحابه كلهم يعني.

عبد العظيم: شكرًا يا هانم.. أهو نلحق نشبع منك قبل ما تتجوزي وتسيبينا.

هانم: أسيبكوا؟؟!! أسيبكوا يوم خارجتي يا سعادة البيه .. أنا هعيش وأموت تحت رجل حضرتك.

عبد العظيم: بعد الشر عليكي.. طيب تعالي معايا.

رافقته هانم، رافقته لأولِ مرةٍ، كانت بجانبهِ تشعر أنها على أعتابِ الجنةِ، الخطوةُ الأولى في تحقيقِ غرضهِا من وجودهِا في هذا البيتِ، البيتُ الذي ماتت أمهُا غريبةً بسببهِ، البيتُ الذي منعها من رؤيةِ أبيها في أيامهِ الأخيرةِ، البيتُ الذي جعلها امرأةً من حقدٍ وكرهٍ وغلٍ، كانت تحلم بهذه الرفقةِ، وقد جاء موعدهُا.

عبد العظيم: أريانا .. هانم هتساعدك في تربية رينا.. هتكون معاكي على طول وهترافقك في كل مكان.. هتشيل عنك رينا لحد ما نطمن عليكي.

أريانا : أنا مطلبتش مساعدة.

عبد العظيم: ده أمر.. أنا مباخدش رأيك.

هانم: استأذن أنا.

عبد العظيم: خليكي يا هانم.. خدي رينا هانم من أريانا هانم.

أريانا : نعم؟؟

عبد العظيم: اسمعي الكلام علشان تحافظي على اللي في بطنك .. يلا يا هانم اسمعي الكلام.. وأنتي يا أريانا عرفيها لبسها وغياراتها فين وعلميها كل حاجة تخص رينا.

أريانا : ماشي.. ماشي يا عبد العظيم.

دخلت هانم حياةَ أريانا من منطقةٍ مختلفةٍ، أُجبرت عليها أريانا، في يومٍ واحدٍ بعد ما كانت الملكةَ التي لا يَطالُها أحدٌ أصبحت في مقارنةٍ واضحةٍ مع هانم، هانم المطيعةُ التي لا تُكسر كلمةً ولا همسةً لعبد العظيم الواقفِ في موقفٍ عدائيٍ لائمٍ مع أريانا دائمًا، أريانا المستهترةُ السابحةُ في بحرِ عُقدهاِ وستغرق بيتهَا معها من وجهةِ نظر عبد العظيم، أصبح الآن يحتاج إلى هانم، يحتاجُها في كلِ شيءِ، خصوصًا بعد وصولِ المولودةِ الثانيةِ «ساندرا».

حتى الاسمُ الذي اختارته أريانا يعني «المساعدةَ» كأنها تُرسل رسالةً تحذيريةً لنفسهِا، ولم تقرأها، ولن تقرأها.

# الجامع الكبير

أنور كوّن مجموعةً من المعجبين به بالجامعةِ، خصوصًا أن قصتَه التي أصبحت تُلاحقه هي قصةُ كفاحهِ، قصةُ الشابِ المصريِ الريفيِ الذي أتى إلى القاهرةِ لا يَملك إلا الحُلمَ ويُحقق النجاحاتِ الصغيرةَ المتتاليةَ، القصةُ التي لن تُرهق نفسكَ كثيرًا لتتوقع ما يَتوقعه الناسُ لنهايتهاِ، النجاحُ الكبيرُ المبهرُ، الطلابُ في الجامعةِ أصبحوا مؤمنين بأنور أشدَ الإيمانِ، أصبح أيقونةً الدفعةِ الدراسيةِ، هو المرجعُ لكلِ شيءٍ، الحياةُ العلميةُ والعمليةُ أيضًا، فكلُ شابٍ يريد أن يدخلَ الحياةَ العمليةَ يبحث عن أنور ليسأله كيف أبدأ؟؟ من أين الطريقُ؟ هل سيؤثر ذلك على دراستي؟

سنتان مرتا كمرور الهواءِ، لم يُعكر فيهما صفوَ أنور إلا محاولاتِ هانم للوصولِ إليه، كان لا يقومُ بشيءٍ غيرَ البحثِ والدراسةِ والعملِ وكلامِ النيلِ والتخطيطِ للمقبلِ، تغيرت الخططُ، وتغيرت الأهدافُ وبينهم شيءٌ واحدٌ مشتركٌ، لا وجود لهانم في أي من خططي، ولا زواجَ أيضًا، من ستوافق على شخصٍ لا يعرف من أبوه؟!

يعلم أنور جيدًا أن الكثيرَ من الفتياتِ في الجامعةِ تراه شابًا مثاليًا، هو لا يرى نفسَه كذلك، لا يرى حتى جزءًا من هذا، يعرف أنه جيدٌ في حياتهِ، حياتهُ هو، أو بالمعنى الأصحِ الجزءُ الذي يقع تحت مسؤوليته من حياتهِ، أما جميعُ

الامتداداتِ في جميعِ الاتجاهاتِ هي أشياءُ إما لا يعلم عنها شيئًا وإما لا يريدُ أن يَعلمها أحدٌ آخر، حتى هو لا يريدُ أن يعلم عنها شيئًا، حياةٌ مليئةٌ بالتفاصيلِ غيرِ المرغوبِ فيها، أنور مسؤولٌ عن نفسهِ وفقط، وقرر أن تستمر حياتُه على ذلك المنوالِ، ولا تتغير،

لكن هل تسعى الحياةُ لما نسعى إليه؟؟ هل تمشي هي على الخطةِ الموضوعةِ، أما نمشي نحن على خُطتِها؟

حيرةٌ دخل فيها أنور دون جدوى، يَصل أحيانًا إلى أنه شخصٌ مُسَّير لا يملك من قرارهِ شيئًا، ويعتقد أحيانًا أخرى أنه المتحكمُ الأولُ والأخيرُ في حياتهِ، تقتله الحيرةُ ليلًا، ويقتل نفسَه بالعملِ والدراسةِ نهارًا، يصدم الحائطَ برأسِه لعل دماغَه يتوقف عن التفكيرِ، يتمنى أن يتوقف مخُه يومًا عن العملِ، ينامُ دون منامات، دون كوابيسٍ، دون هانم.

الدكتور: صباح الخير يا شباب.. بسأل إذا كان عندنا حد من محافظة القليوبية.. في حجر في قرية من القرى هناك عند مسجد اسمه الجامع الكبير.. حد هنا من محافظة القليوبية؟ علشان يسهل المهمة مع المسؤوليين من وزارة الآثار وكمان يشوف بعنيه الموضوع بشكل عملي.. وطبعًا هيكون معاه زمايله من مناطق تانية.

شك أنور للحظةٍ أن هذه مؤامرةَ لكشفِ مستورهِ، الجامعُ الكبيرُ؟؟ الحجرُ؟؟ تجمعت ذكرياتُه عليه ككلابٍ ليليةٍ

تنهش في عظمهِ، لماذا هذا المكانُ بالذاتِ؟؟ وماذا لو عرف الدكتورُ أني من نفسِ القريةِ؟؟ هل كلُ هذا المجهودُ كلهُ سيضيعُ بهذه الصدفةِ اللعينةِ؟؟

لا.. لا لن أرفع يدي.. لن أخبرهم أنني أعرف هذه القرية من الأساس.. استقر ذهن أنور إلى هذا القرار.. تمنى لو أنه لم يحضر اليومَ تلكَ المحاضرةِ.. حاول الخروجَ من المحاضرةِ بأيِ عذرٍ لكنه قَلق لو لاحظ الدكتورُ أيَ تغييرٍ عليه.

مر الوقتُ كسكينٍ تِلم يُقطع أحلامَ أنور إربًا صغيرةً تتهشم أمام عينيه بسبب صدفةٍ قدريةٍ تُثبت له أنه مُسيرُ في قدرهِ ومُخيرٌ في أفعالهِ، انتهى الدكتورُ من اختيارِ الطلابِ المرافقين للرحلةِ الاستكشافيةِ، ثم أضاف جملةً واحدةً قبلَ أن يبدأ محاضرتَه.

الدكتور: وأنت يا أنور هتكون معاهم.

ماذا حدث؟ هل قالها الدكتورُ فعلًا؟ هل ذَكر اسمَ أنور؟؟ نظر أنور للطالبِ الملاصقِ له وسأله وأجابه الزميلُ بنعم ذكرَ اسمكَ، ما هذه الصاعقةُ؟؟ ما هذه الكارثةُ؟؟ ما الحلُ؟

أنور: ألو.. ألو يا أستاذ جمال.

الأستاذ جمال: مالك يا أنور.. بتنهج ليه؟؟

أنور: أنا خايف وقلقان.. الدكتور باعت الطلبة علشان

يكتشفوا الحجر اللي قدام الجامع الكبير.. وسأل مين من القليوبية وأنا مردتش بس قالي إني هاجي معاهم .. أنا خايف هانم تفضحني وكلهم يعرفوا إني بكدب.. أنا كل اللي بعمله هيضيع بسبب هانم.. وهقتلها والله هقتلها.

الأستاذ جمال: طيب اهدى اهدى أنا هتصرف.. ومتقولش الكلام الماسخ ده تاني.. اهدى يا ابني أنا هتصرف.. هى الزيارة دي إمتى؟؟

أنور: بعد يومين.

الاستاذ جمال: طيب اقفل دلوقتي وأنا هكلمك تاني.

أغلق الأستاذُ جمال الهاتفَ وتحرك سريعًا وقبلَ بزوغِ شمسِ اليومِ الجديدِ كان قد انتهى كلُ شيءٍ.

الدكتور: يا ولاد إحنا عندنا مشكلة في زيارة القليوبية .. النهاردة صحيوا.. ملقوش الحجر.

ماذا فعل الأستاذُ جمال؟؟ هل سرق الحجرَ بالفعل؟؟ هل استغل المعلومةَ التي قالها له أنور لمصلحتهِ؟؟ فكر أنور في كلِ الاحتمالاتِ إلا هذا الاحتمال.

الدكتور: حصلت حاجة غريبة جدًا.. لقوا أشخاص شايلين الحجر على عربية نص نقل ووصلوه لحد وزارة الآثار وقالوا إن في معلومات راحت لهم إن الحجر ده أثري وفي ناس كانت هتسرقه، فقرروا أنهم يدوه لوزارة الآثار.. عمومًا إحنا

هنروحله برضو لكن لما ننسق معاهم.

كأن أنور مات، والأستاذ جمال دعا اللهَ له أن يتنفسَ من جديدٍ وتَقبل اللهُ دعاءه وجعله سببًا في أن يبقى أنور على قيدِ الحلمِ، حلم أنور في أن يبني حياةً صالحةً بلا عارٍ مسبقٍ أو عارٍ مؤكدٍ في المستقبلِ، أنبل ما يُقدمه لك غيُرك أن يُبقيك على قيدِ الحُلمِ، أن يجعلك تتنفس وتُسيطر على قلقكِ وتَقتله.

المنامُ الثالثُ

الأستاذ جمال: أديني جتلك الشقة أهو غصب عني.. وربنا سترها ومحصلش حاجة.. إياك أسمعك تقول كلمة قتل دي تاني..إياك يا أنور.

أنور: أنا آسف والله يا أستاذ جمال.. بس أديك شايف اللي كان ممكن يحصل لو أنت متصرفتش.. أنا حاسس إني عاوز أبوس إيدك .. ممكن؟

الأستاذ جمال: يا ابني العفو ميصحش.

أنور: علشان خاطري.. اعتبره طلب من طلباتي اللي بتنفذهالي.

الأستاذ جمال: لا طلبك مرفوض.. متوطيش على إيد حد تبوسها مهما عملك.. رد المعروف.. المعروف وبس.

أنور: طيب أنا عامل فيك معروف حلو أوي بس لسه في

الفرن.

الأستاذ جمال: أهو ده الكلام مش تقولي تبوس إيدي !! أبوس إيدك أنا هات الأكل لأني جعان ع الآخر.. بس استنى قبل الأكل وقبل ما نتقل.. قولتلي إنك حلمت حلم تاني.. احكي لي شوفت إيه؟؟

أنور: المنام ده أنا مشوفتهوش بس، أنا تقريبًا عشته، أنا قمت جسمي كله أزرق، مطرح الخبطات لقيت كدمات، ومطرح الكسر لقيته واجعني كأنه كان هيتكسر فعلًا، أنا مش فاهم يعني إيه حلم يبقى مكمل معايا حياتي؟؟ يعني إيه حلم يدخل في الواقع؟ أو على الأقل يأثر في الواقع، أنا ببقى عاوز أصحى من النوم مش قادر، أنا ببقى عارف إني بحلم يا أستاذ جمال

الأستاذ جمال: زي ما مخك ده نعمة يا أنور، هو كمان سبب تعبك، مخك اللي مبيوقفش عن التفكير لما تكبر هيتعبك أوي، خايف عليك يا ابني من المرض، مرض النفس قبل مرض الجسد، لازم تتعلم تسلم لله، ترضى باللي مكتوبلك، تعرف إنك متقدرش تغير حاجة، ومش معنى إن قصة حياتك اتغيرت، ان انت اللي غيرتها، ربنا اللي غيرها بإيدك، ولازم تعرف إن اللي جاي زي اللي فات، كله بايد ربنا، كله يا أنور بإيد ربنا واحنا أسباب

أنور: والله راضي، راضي بس بفرك.. بحاول.. بعافر..

مش انت اللي علمتني كده؟

الأستاذ جمال: عافر وحاول وأنت متوكل.. وأنت سايبها على الله.. التأكد واليقين أهم من الشغل والتفكير، بس لا ده ينفع لوحده ولا ده ينفع لوحده.. التوازن يا أنور.

أنور: أنا من غيرك أتوه والله.. حسبي الله في اللي كانت السبب في إننا منشوفش بعض كل يوم.

الأستاذ جمال: على شرها ده.. هى سبب في إنك بقيت راجل وعصب وقادر تعتمد على نفسك.. أنت لو مكرهتهاش ومشيت كان زمانك طالب شاطر وبس.. مكنتش هتحقق اللي حققته ولا كبرت ولا نشفت كده.. الناس اللي بنكرهها بتأثر في حياتنا أكتر من اللي بنحبهم يا أنور.. الزقة من اللي بنكرههم بعشرة من الزقة من اللي بنحبهم.. علشان زقتهم مفيهاش حنية.

أنور: يعني اللي مفيهومش حنية بيأثر فينا أكتر؟؟

الأستاذ جمال: لو اتكلمنا على التأثير في الأفعال.. آه .. إنما التأثير في النفس اللي بيحبونا هما اللي المفروض يعملوا كل حاجة.. إوعى تخلي القساوة تتملك من نفسك ولا الطمع ولا الكره ولا النقص..لأنهم هينهشوا شخصيتك الجميلة اللي ربنا خلقهالك.. خليك زي ما أنت ساعد الناس وحبهم واتمنى ليهم الخير.. يجيلك من اللي بتتمناه.

أنور: حاضر.. حاضر يا أستاذ جمال.

الأستاذ جمال: وبعدين تعالى هنا.. مش أنت وعدتني أنت هتأكلني من إيدك في أول زيارة ليا؟

أنور: زيارة إيه؟؟ ده بيتك.. أنا اللي متقل عليك.. وربنا يقدرني وأعوضك عن التعب اللي مسببهولك.

الأستاذ جمال: بطل عبط بقى.. بكرة تعرف أنك ابني فعلًا.. فين الأكل؟ أنا جعان

أنور: أهو والله في الفرن.

الأستاذ جمال: فرن كمان.. ده أنت خليت الشقة بيت بقى.. عقبال ما تعمره وتعمر اللي أكبر منه بمراتك وعيالك.

أنور: لا.. أهي دي لأ.. لا مراتي ولا عيالي أنا كده كويس.. عاوز أسيب الدنيا نضيف كده.. لا جبت عيل أثرت في حقه ولا سبته ومت ولا أمه تخبي عليه أنا مين.. محدش ضامن حاجة ولا ضامن حد.

الأستاذ جمال: أهو ده اللي بحذرك منه.. بحذرك إنك تتعقد وتتصرف وتقرر على أساس عقدك يا أنور.. عمومًا بدري الكلام في الموضوع ده.. لما تخلص جامعتك نتكلم.

أنور: هانت إحنا ف آخر سنة أهو.. بس مش هنتكلم هههههههه.

الأستاذ جمال: عندك حق.. إحنا مش هنتكلم.. إحنا

هناكل.. بس قبل ما ناكل.. احكي لي الحلم.. احكي أول حلم في مصر.

أنور: مفيش اختلاف بين أحلام القاهرة.. ومنامات القرية.. كلها سلسلة كأنها فيلم على أجزاء المرة دي عرفت إن أنا العقرب لا أنا جواه ولا هو جوايا.. بقيت بتحكم في رجوله.. أنا اللي بفكر أمشي فين وأعمل إيه..عرفت إننا مبقناش احنا الراجل ولا الراجل احنا.. احنا بس ماشيين عليه.. من كتير المشي افتكرت إننا في أرض كبيرة مفروشة دهب.. دهب معمول أشكال وفيه ألوان حلوة.. كنت بشوفها زي الجبال لأني مش شايفها من فوق أنا شايفها وأنا ماشي عليها.. أنا العقرب في الوقت ده.. مكنتش عارف إزاي بحرك العدد ده من الرجول.. بحس بعدم توازن لكن مبقعش.. بلاقيها بتتحرك بشكل تلقائي.. اللون اللي حواليا دهبي من كل حتة.. مبقتش عارف أنا عاوز أروح فين.. أنا عاوز أفهم.. عاوز أشوف المشهد من بعيد علشان أفهمه.. طول ما أنا عيني مش شايفة غير الدهب لا أنا عارف ولا فاهم أنا فين ولا عاوز إيه.. نطيت من على الراجل الضخم.. لقفني بإيده.. وقعد يطلعني لفوق.. حسيت إنه مشوار طويل وبقاله كتير بيطلعني.. إيده بتطول لحد ما وصلت تاني للسما.. وسابني فجأة .. سابني بس مفيش حاجة شالتني.. فضلت نازل في الهوا كتير برضو.. ووقعت في مكان كله تراب.. رجعت للبلد

تاني.. انا عارف ريحة الأرض دي كويس.. بصيت لقيت راس الجاموسة المقطوعة وبيلف حواليها خفافيش كتير.. كتير أوي.. مكنتش خايف منهم لأني عقرب.. بس تخيلت إني لو إنسان كنت هبقى خايف قد إيه.. أول ما خوفت.. رجعت أنا تاني.. رجعت أنور اللي بيجري من الخفافيش.. لحد ما قرب مني خفاش منهم وفرد جناحاته وخباني منهم.. غطاني.. غطاني بجناحاته لمرحلة إني مبقتش شايف حاجة إلا نقطة بتلمع بعيد.. بصيت لتحت لقيت الست اللي شوفتها في أول مرة صغيرة وبعيدة وبتمدلي إيديها علشان ألحقها وبتصرخ بس من غير صوت أنا شايفها بس مش سامعها.. وفجأة وأنا بمد إيدي ألحقها.. زي ما يكون كل الصريخ اللي بتصرخه اتلم في صرخة واحدة في ودني.. صحتني مفزوع قبل ما أمسك إيديها.

# مذكراتُ د. عبدالعظيم

## الملفُ العاشرُ «ماذا حدث؟؟»

رفضت أريانا المساعدةَ في البدايةِ، أظهرت لهانم أنها ندٌ لها، وهذه أولُ الأخطاءِ التي يَقعُ فيها أيُ شخصٍ غنيٍ عن الندية، عندما تُشعر من أمامكَ كَذبًا أنه ندٌ، يأخذ هو طريقَ الندية وفي الغالبِ سينجح به، فأسوأ القراراتِ هي الدخولُ في تحدٍ مع من أدنى، تكبيرِ مقامهِ، وتقليلِ مقامكِ، لكن مع الأيامِ لعبت هانم لعبةَ «كسبِ الأرضِ» وسحبِ الصلاحياتِ والمهامِ، فهكذا الأمورُ تبدأُ بمبادرةِ المساعدةِ، ثم سحبِ المهمةِ، ثم الاعتمادِ الكلي، ثم التملكِ، فمن بادرَ بالمساعدةِ يمتلكُ بمساعدتهِ، وهو ما حدث مع أريانا وهانم، اعتمدت أريانا على هانم في كلِ ما يخص «رينا» وصبت كل تركيزها على «ساندرا» الوافدةِ الجديدةِ التي لم تأخذ نصَ حظِ «رينا» من الرعايةِ أو الاهتمامِ أو حتى الفرحة، وبمرورِ الشهورِ، أصبح القرارُ في هذا الكيانِ لهانم، في جميعِ الاتجاهاتِ أصبحت هانم هي صاحبةُ القرارِ، المأكلِ، الملبسِ، مواعيدِ الخروجِ والدخولِ، نعم، فهى تملك كلَ مفاتيحِ اتخاذِ القرارِ التي لم تأخذه بلسانها ولا مرةِ واحدةِ حتى، كانت تُنطق عبد العظيم بلسانها، والجميعُ عليه الموافقةُ، خصوصًا بعدما تغير عبد العظيم، وتحول من دورِ الداعمِ الديمقراطي لصاحبِ القرارِ الأوحدِ، لا يوافق على المناقشةِ، ولا يريد أن يُجادله أحدٌ، وبرهن على ذلك بطردهِ

لأحدِ العمالِ –وللمرة الأولى- في تاريخِ هذا البيتِ عرف الجميعُ أن الوضعَ قد تغير، الاستقرارُ آن أونُه أن يتنهي، ويأتي عصرُ نسفِ كلِ الثوابتِ، فكان من المستحيلِ أن يُطرد شخصٌ من هذا البيتِ، وحدثَ المستحيلُ، وستُحدثُ قريبًا الكثيرُ من المستحيلاتِ.

أريانا : هانم بقت هانم فعلًا.

عبد العظيم: نعم؟؟

أريانا : بقولك أنت خليت هانم الخدامة.. هانم في البيت وهى اللي بتؤمر وتنهي.

عبد العظيم: خدامة؟؟!! هى مش دي الكلمة اللي كنتي بترفضيها؟

أريانا : معلش اعتبرها حاجة اتغيرت مع الحاجات اللي بتتغير.

عبد العظيم: على رأيك.. عمومًا هانم متقدرش تقول حاجة ولا تاخد قرار في البيت من غير ما ترجعلي.

أريانا : ترجعلك؟؟ طيب كويس والله.. وبالنسبة ليا؟ ست البيت ده.. فين رأيها؟

عبد العظيم: مش فاهم؟

أريانا : لا فاهم.. أنت قررت تخليني فاظة أو كرسي في البيت من يوم قولتلك إني حامل من غير إذنك وعلى عكس

اتفاقنا زي ما أنت ما قلت.

عبد العظيم: زي ما قلت ولا زي الحقيقة؟؟

أريانا : زي الحقيقة زي الخيال مش دي المشكلة.. المشكلة أني مش شنطة تشيلها وتحطها مطرح ما تحب.

عبد العظيم: وطي صوتك البنات نايمين.. وعيب الخدامين يسمعوا صوتك بيعلى عليا.. عيب يا بنت الأصول.

أريانا : بنت الأصول؟!! هي وصلت لأنك تعايرني؟؟!!

عبد العظيم: أنا زهقت.. زهقت وطهقت وكفرت من عقدتك دي.. زهقت يا أريانا .. أنا زهقت من التركيبة دي.

أريانا : وإيه اللي مخليك مستحمل؟؟

عبد العظيم: أنا مش هكمل الكلام ده علشان نهايته هتبقى مش كويسة خالص.

أريانا : وأنا عاوزه أكمل كلام ويخلص زي ما يخلص.

عبد العظيم: إنتي عاوزة إيه؟

أريانا : عاوزه أعرف حبك مات ليه؟؟ اتغيرت ليه؟؟ كل ده علشان خلفنا من غير إذنك؟

عبد العظيم: لا كل ده علشان أنتي اتغيرتي.. خليتي حياتنا بتلف حوالين نقطة وهمية أنتي بس اللي شايفاها..

بقت مركز الكون بالنسبالك.

أريانا : ومن إمتى شايفني وحشة كده؟؟ من زمان ولا من ساعة هانم ما بقت تعملك كل حاجة في حياتك؟؟

صفعها عبد العظيم، صفعها على وجههاِ حتى نزفت، نزفت دمًا وحبًا وولاءً، سقط مع دموعهاِ احترمهاَ له وكلَ الذكرياتِ الجميلةِ انهارت كما انهارت هي ودخلت في حالةِ إغماءٍ، ولما أفاقت من هذه الحالةِ، لم تَجدهُ جانبهاَ، بل وجدت هانم.

أريانا : اطلعي بره

هانم: إيه؟؟

أريانا صارخة: اطلعي بره.. اطلعي بره.

هرولت هانم إلى عبد العظيم، روت له ما حدث، روته ولم تُظهر أنها غاضبةٌ، لم تُظهر أنها تُعبء بنفسهاِ، أظهرت له بكلِ وضوحٍ «كان الله في عونك» كيف تتحمل الحياةَ مع تلك المرأةِ؟؟ المرأةُ التي تصرخ دون سببٍ، وتكره دون سببٍ، وتنهار دون سابقِ إنذارٍ.

أريانا : طلقني يا عبد العظيم

عبد العظيم: طيب اهدي ونتكلم لما تبقي كويسة

أريانا : أنا مش هبقى كويسة

عبد العظيم: لا هتبقي كويسة وزي الفل

أريانا : وأنا بقولك مش هبقى كويسة.. ومش عاوزه ابقى كويسة.. ومش هبقى كويسة طول ما أنا هنا

عبد العظيم: أمال عاوزة تكوني فين؟؟

أريانا : ملكش علاقة.. عاوزة أكون مش معاك

عبد العظيم: أريانا .. اهدي.. احنا عندنا بنات .. مستحيل أوافق على اللي بتقوليه ده.. لو مش علشاني يبقى علشان البنات اللي بيعيطوا من ساعة ما تعبتي.

أريانا : أنا مش هقعد في البيت اللي اتهنت فيه ده دقيقة واحدة كمان.

عبد العظيم: طيب قوليلي عاوزة إيه وأنا هعملهولك.

أريانا : أرجع إسكندرية.

عبد العظيم: ماشي ناخد إجازة نفرح البنات وأنتي تستريحي.. أنا موافق.

أريانا : لا.. إحنا هنعيش في إسكندرية.

عبد العظيم: نعيش في إسكندرية إزاي؟؟ طيب وبيتنا ومصالحنا

أريانا : معرفش.. اتصرف.. أو سيبني أنا وبناتي نروح وخليك أنت هنا.. وأنا هعرفك إني أقدر أربيهم لوحدي

وهيطلعوا أحسن من هنا بكتير.

عبد العظيم: يطلعوا إيه؟؟ ويطلعوا فين؟؟ البيت ده مش هيتفرق.. أنا مش عاوز أتعصب تاني

أريانا : لو اتعصبت تاني هتصحى مش هتلاقيني.. ولو منعتني هموت نفسي أنا والبنات

عبد العظيم: أقسم بالله لو سمعت الكلام ده تاني ماهتشوفيهم مرة تانية في حياتك

أريانا : أنا مش هتتهدد تاني... مش هتتهدد بحاجة.. وبناتي محدش هيقدر يمنعني عنهم.. ولا حتى أنت.. ولا بلدك دي كلها.. أنا بناتي دول بتوعي.. وأنا قدمتلك الاختيار وأنت اللي رافضه

عبد العظيم: جبتي الكره ده كله منين؟؟ مين اللي دخل قلبك وبدله؟؟

أريانا : أنت.. أنت وقسوتك وإهمالك ومعايرتك.

عبد العظيم: والله ما حصل.. بس ده مش وقت نقاش.. عمومًا أنا هرتب موضوع إسكندرية وهعتبرها فترة مؤقتة وهكون بين هنا وهناك علشان أراعي المصالح هنا.

أريانا : اعتبرها أنت كده وأنا مش هرجع هنا تاني.

أخفت أريانا شرطًا واحدًا بداخلها لم تدفع به في التفاوضِ تكبرًا، كانت ستُوافق أن تظل في بيتهاِ إذا طُردت هانم،

أخفته لتتأكد من إخلاصِ عبد العظيم، هى تَشكُ به بكل جوارحِها الآن، وهو وجدَ في طلبِها شيئًا من ضالتهِ، كان يحتاجُ لهذه الاستراحةِ دونها، كان يُريد أن يختلي بنفسهِ ليُقَّيم الأمرَ دون ضغطٍ منها عليِه، وقد كان لكن الاستراحةَ استمرت لسنواتٍ وسنوات، حدث بها ما حدث، لكن أهم ما حدث كان بينَه وبين هانم.

# مذكراتُ د. عبدالعظيم

## الملفُ الحادي عشر «الخطيئةُ وكشفُها»

كما خططت هانم صار كلُ شيءٍ، أصبحت الفيلا تحتَ سيطرتهاِ بالكاملِ، أصبح عبد العظيم تحت سيطرتهاِ بالكاملِ، كانت تُعشمه دائمًا بما يرغب، وتترفع عنه، لكنه ترفعُ الراغبِ، تُظهر له ما يُبقيه على نارٍ، وتُخفي ما يُريده أن يظهر، لا وسيلةُ للدخولِ لهانم غيرُ الزواجِ، لكن هل سيستطيع عبد العظيم أن يفعلها؟!

هانم: عبد العظيم بيه.. أنا عارفة إنت عاوز إيه.. وأنا مش هكدب عليك أنا كمان عاوزاك.. بحب أشوفك كده طالل عليا وبتراقبني وبتبص على كل حتة فيا.. بس الحرام.. عمري ما همشي في الحرام.. وعارفة إنك عمرك ما تقدر تتجوزني حتى لو أنت عايش لوحدك لجل أريانا هانم.. ف أنا.. أنا همشي

عبد العظيم: تمشي؟؟ تمشي تروحي فين يا هانم؟؟ وبعدين إيه مقدرش دي؟؟

هانم: والله ما أقصد يا سيدي البيه.. ده أنت تؤمرنا وإحنا نطيع وننفذ.

عبد العظيم: أمال تقصدي إيه يا هانم؟

هانم: بقالك سنين مستحمل بعدهم.. بتروح زيارات

وبتحكيلي إنك مش مرتاح هناك ولا هما مرتاحين.. وإحنا لو.. لو فضلنا ع الحال ده هنغلط.. وده لا قيمتك ولا أنا نقدر نغلط.

عبد العظيم: إحنا مش مضطرين نغلط يا هانم.. في حل تاني.. وأنا اتكلمت مع حامد لكن هو قالي إني لازم أكلمك أنتي.

هانم: إيه هو؟؟

عبد العظيم: هنتجوز عرفي.. واحنا كده كده عايشين في بيت واحد.. مفيش حاجة هتختلف.

هانم: عرفي؟؟ يعني إيه عرفي؟؟

عبد العظيم: عرفي يعني أنا وأنتي وحامد بس اللي نعرف.. لكن كل حقوقك محفوظالك.. بس أنتي أكيد عارفة مش هينفع نعلن للناس كلها ولا حتى ل أريانا والبنات.

هانم: على شرط.

عبد العظيم: قولي يا هانم.

هانم: تجيب الواد مني.

عبد العظيم: لا.. ده أول شرط مرفوض.. أنا مش عاوز أخلف تاني.. وأديكي شوفتي اللي عمل بيني وبين أريانا اللي حصل ده.. إنها حملت غصب عني.

هانم: بس أنا غرضي أخلف منك... عمري ما هبقى على اسمك إلا بحتة عيل يحاجي على البنات ويشوف مصالحهم.

عبد العظيم: لا.. ده شرطي أنا.. ومن دلوقتي لو مش موافقة يبقى بلاش منه الموضوع على بعضه

هانم: صحيح.. وأنت هتخلف من خدامة؟!

عبد العظيم: هاانم.. بلاش الكلام ده مش عاوز من أولها كلام من ده.

هانم: حاضر.. حاضر يا.. يا عبد العظيم بيه.

عبد العظيم: يعني موافقة؟

هانم: موافقة.. بس متعشمة فيك تفكر تاني.

عبد العظيم: إن شاء الله.

لم يُفكر هو، ولن تُفكر هي في غيرِ ما قررته من بدايةِ الأمرِ، سيكون لعبد العظيم ابنًا منها في أقربِ فرصةٍ ممكنةٍ.

تمت الزيجةُ بشهادةِ حامد وأحدِ أصدقاءِ عبد العظيم من القاهرةِ، تمت دون أن يُعلم أحدًا، غيرَ مسموحٍ لأحدٍ أن يَتكلم في هذا لا هانم ولا حامد ولا عبد العظيم نفسِه، حتى صديقُه الذي اختاره هو دائمُ السفرِ للخارجِ، غيرَ واردٍ

في حساباتِ عبد العظيم أن يتسرب الخبرُ إلى أريانا وبناتِه اللاتي يكبرن يومًا بعد يومٍ، لكنه وَضع النارَ بجانبِ البنزينِ عندما جعل حامد يقوم بتوصيلِ الأغراضِ من وإلى أريانا.

هانم: حامد.. لازم أريانا تعرف إني ضرتها

حامد: إزاي بس؟؟ ده إحنا غلبنا عشان نداري.. تقومي أنتي تفضحينا

هانم: لا داري أنت زي ما تدراي.. أنا مراته زي ما هي مراته وأنا هبقى هبقى أم الجدع اللي هيورثه

حامد: أنا لسه مخلصتش من نصيبة التزوير اللي عملناها في الورق اللي اتجوزتي بيه.. عاوزة تحطيني في نصيبة تانية؟!

هانم: حامد.. أنت مش هتعمل حاجة.. أنت هتاخد الورقة دي هتدسها وسط الحاجة اللي بتوصلها ل أريانا.

حامد: فيها إيه الورقة دي؟؟

هانم: فيها أني متجوزة عبد العظيم.

انتظرت هانم أيامًا بعد وصولِ الورقةِ إلى أريانا، انتظرت ردَ الفعلِ على عبد العظيم أو أريانا نفسِها، توقعت هانم أن تقومَ الدنُيا ولا تهدأ، توقعت أن تأتي أريانا لتنتقمَ منها، أو تطلبَ من عبد العظيم الطلاقَ، لكن عدمَ ردِ الفعلِ كان مفاجأةً، مفاجأةً كبيرةً، أعدتها أريانا جيدًا لهانم وعبد

العظيم، أريانا التي قررت أن تنتقم بشكلٍ مُبتكرٍ، قررت ألا تُخبر أحدًا أنها عرفت بما فعله عبد العظيم، ولا عبد العظيم نفسَه، لأنها من البدايةِ كانت تعلم ما سيُحدث وأعدت خُطتَها كاملةً.

دونِ سابقِ إنذارٍ، وجد عبد العظيم عائلتَه الأولى بكاملهاِ أمامهَ، أريانا ورينا وساندرا، مرت سنواتٌ ولم يَدخلن هذا البيتَ لمرحلةِ أن ساندرا تتأمل تفاصيلَ البيتِ الذي لم تَدخله من قبل، البيتُ الذي خرجن منه بسببِها كما أعلمتها أمهُا رغمِ صِغرِ سنهِا، عادت أريانا ببناتهِا لبيتهِا الذي تركته وأقسمت ألا تَعود له مرةً أخرى، عادت وكأنها عائدةٌ ليلتئم الجُرحُ، لتَلم الشملَ مرةً أخرى، عادت ومعها الهدايا لكل الخدمِ ومن ضمنهِم بالطبعِ هانم، كما كان معها هديةٌ أيضًا لعبد العظيم.

أريانا : كنت عارفة إني هلاقيك في المرسم.

عبد العظيم: مين؟؟ أريانا .. أنتي.. أنتوا.. هو إيه اللي حصل؟؟ إنتي إزاي هنا؟؟

أريانا : إيه مكنتش عاوز تشوفني هنا تاني؟؟

عبد العظيم: لا.. أبدا.. لا إزاي يعني؟؟ بس دي مفاجأة كبيرة جدا أنا بس.. يعني

أريانا : مالك؟؟ هى المفاجأة مفرحاك ولا مزعلاك؟؟

عبد العظيم: طبعا.. طبعا مفرحاني.. إنتي جيتي إزاي؟؟ ولا إيه اللي حصل؟

أريانا : وحشتني.. جيت لك

عبد العظيم: إيه؟

أريانا : إيه؟؟ مش جوزي؟؟ ولا مش مصدق إنك وحشتني؟؟

عبد العظيم: لا مصدق طبعاً بس أنتي...

لم تَدعه أريانا يُكمل كلامَه، وانقضت عليه كأسدٍ ينقضُ على فريستِه، أخذت تُقبُله من جميعِ الجهاتِ، استخدمت كلَ مهاراتِها الجسديةِ كي تُشعره برغبتِها به، أخذت تتناوله كما يتناول الأطفالُ الحلوى، لم يَشعر بنفسِه إلا وهو يتجاوب بالعنفِ نفسِه، لم يَرها قبلَ ذلك هكذا، بل شعر أنه لم يَرها من قبلُ، استمرت أريانا في عنفوانِها المُتعمدِ حتى علا صوتهمُا، لدرجةِ أن يَسمعه من في الخارجِ، لكنها كانت تَرغب أن تَسمعه واحدةٌ فقط، كانت تَرغب أن تَسمعها هانم وهي تعبث بزوجِها، تَسمعها وتُقهر دون أن تستطيع حتى أن ترد، وقد كان، دخلت هانم عليهما مهرولةً، دون استئذانِ، وجدتهما على الأرضِ ومن حوليهما الألوانُ مبعثرةٌ عبثًا في كلِ مكانِ، نظرت لها أريانا باستحقارِ شديدٍ.

أريانا : اطلعي بره.. من امتى الخدامات بيدخلوا كده من غير استئذان.

هم عبد العظيم بالنهوضِ، فضغطت أريانا على يدهِ، وثَبتته في مكانهِ.

أريانا : بقول اطلعي بره هو أنتي مبتفهميش؟؟

ثم نظرت لعبد العظيم.

أريانا : هو إيه اللي حصل في البيت وأنا مش هنا؟

هانم: حاضر.. هطلع بره.

أريانا : اسمها حاضر يا ست هانم هطلع بره

هانم وهى تنظرُ لعبد العظيم: حاضر يا ست هانم هطلع بره.

أريانا : اقفلي الباب وراكي وقليلهم محدش يدخل علينا.

هانم: حاضر يا ست هانم.

فكرت هانم في قتلهِا في هذه اللحظةِ عشراتِ المراتِ، فكرت في قتلهمِا معًا، لكنها رأت أن القتلَ ليس هو النوعُ الأمثلُ من الانتقامِ، فأحيانًا أن تترك غريمكَ على قيدِ الحياةِ بشروطكِ هو أشدُ الانتقامِ،

تركتهما هانم ولم تترك رغبتهَا في الانتقامِ، أخبرت الخدمَ ألا يدخل أحدٌ عليهما بالفعلِ، فكرت في عبد العظيم الذي تركها تُهان بهذهِ الدرجةِ وهو زوجهُا مثلهُا مثلُ أريانا، أريانا التي نعتتها بالخادمةِ، لكنها تذكرت أن هدفهَا الرئيسي في

هذا البيتِ هو الانتقامُ، وكلُ ما زاد على عليهِ هو إضافةُ شخصٍ آخر لقائمةِ الانتقامِ التي تُعدها هانم من سنواتٍ طوالٍ، كان هذا كلُ ما يدور في خَلِدِ هانم حتى سقطت على الأرضِ مغشيًا عليها.

عبد العظيم: شوفتي يا أريانا نتيجة إهانتك ليها؟

أريانا : إيه زعلان عليها ليه؟؟

عبد العظيم: مش مسألة زعلان.. ده موضوع إنساني.. الست تعبانة وفي السرير في بيتها.

أريانا : يعني إيه في بيتها؟؟ هي دي ليها بيت؟؟

عبد العظيم: مالك ومالها بس !! أكيد ليها بيت مش معنى إنها عايشة معانا هنا إنها ملهاش بيت.

أريانا : مش ملاحظ إنك بتدافع عنها أوي؟

عبد العظيم: أنا ولا بدافع ولا حاجة.. خليني أروح أشوفها وأرجعلك.

أريانا : تروح فين؟؟ أنت مش هتتحرك من هنا، عاوزك تشوف كمان أنا جبتلك إيه

عبد العظيم: إيه؟؟

أريانا : كاميرا

عبد العظيم: حلوة أوي متشكر أوي

أريانا : بس؟؟

عبد العظيم: مش فاهم.

أريانا : أنا هفهمك.

ثم أخذته أريانا في جولةٍ ثانيةٍ في معركتهِا التي قررت أن تُشعلها بنفسهِا هذه المرةِ، وأصعبُ فخٍ يقع فيه رجلٌ، هو فخٌ من صُنعِ امرأتِه الأولى.

حامد: عبد العظيم بيه

عبد العظيم: عاوز إيه يا حامد؟؟ هانم كويسة؟؟

حامد: هانم حبلة.

# مذكراتُ د. عبدالعظيم

## الملفُ الثاني عشر «المولودُ الثالثُ»

وبعد مرورِ ٩ أشهر بالكمالِ، جاء الابنُ الثالثُ لعبد العظيم، الابنُ الذي سيحمل اسمهَ، ويرثهَ ويمدد له في عمرهِ بعد وفاتهِ، كم من المُفرحِ أن تُنجبَ أنثى، لكن أيضًا للذكرِ في الأريافِ وضعًا مختلفًا، هو الامتدادُ، فالبشرُ لسببٍ ما يشعرون براحةٍ عندما يَطمئنون أن اسمهمَ سيُذكر بعد وفاتهمِ، لا يعلمُ أحدٌ ما الفائدةَ من أيِ شيءٍ بعد الوفاةِ!! خصوصًا ذكرُ الاسمِ.

وعلى الرغمِ من ذلك، جاء هذا المولدُ في صمتٍ تامٍ، كأنه لا يريده أحدٌ، كان استقبالُه أقلَ من العادي، كأنه سرًا لا يريدون أن يعرفه أحدٌ.

## عش الخفاش ١

مرت الأيامُ، وأصبح الطالبُ المتفوقُ أنور المعيدَ الألمعَ في كليةِ الآثار، تحول من طالبٍ يبحث ليدرس، لمعيدٍ يبحث ليُدرس للآخرين، كما تمنى أنور، حقق له اللهُ كلَ ما تمناه، هذا هو اليومُ الأولُ له في الكليةِ - كمعيدٍ طبعًا -

استيقظ أنور مبكرًا للغايةِ، جهَّز نفسَه على خيرِ حالٍ، ارتدى بدلتهَ الكاملةَ التي اشتراها من مالهِ الذي يعمل به، ودعَّ كلَ الأعمالِ التي ساعدته على أن يُصبح معيدًا ولم

يَكرهها ولم يُخفيها يومًا، خاف من أن تُفسد بدلتهَ الكاملةَ المواصلاتُ فطلب سيارةً خاصةً عبر تطبيقٍ من خلالِ جهازهِ المحمولِ الجديدِ الحديثِ للغايةِ، هذا أنور كما تمنى أن يرى نفسَه، وتمنى أن يراه الأستاذُ جمال، وهذه هي المحاضرةُ الأولى له.

أنور: صباح الخير يا شباب.. يا رب تكونوا بخير وكله تمام.. إن شاء الله يكون كلكلم جايين كلية الآثار بمزاجكم ومفيكوش حد داخلها بسبب التنسيق.. أنا من سنين كنت مكانكم وكنت بحلم أبقى هنا.. تعبت.. وذاكرت.. وحلمت أبقى مكان دكاترتي والحمد لله بقيت.. وإن شاء الله نشوف منكم ناس زملا لينا قريب.. ده أول يوم ليا أدخل فيه محاضرة.. أتمنى تفهموا مني وأقدر أبسط المعلومات ليكوا زي ما الدكاترة الكبار أساتذتنا ما عملوا وكانوا سبب في نجاحنا.. لكن قبل ما ابدأ.. أحب اسألكم مين فيكم بيحلم يكون هنا؟؟

اتفضلي

طالبة: أنا يا دكتور

أنور: اسمك إيه؟؟

طالبة: اسمي سلمى عبد الحكيم كامل

أنور: نفسك تبقي هنا ليه يا سلمى؟

سلمى: بصراحة ولا حضرتك تضايق مني؟؟

أنور: مم لا اتفضلي

سلمى: علشان لما أبقى مكان حضرتك هدخل في المحاضرة Direct مش هفضل أحكي للطلاب بتوعي عن My achievements علشان أقولهم إني تعبت وإن عندي Story تستحق أنها تتعرف

أنور: بس أنا بقى لو مكان حضرتك كنت هبقى ذوق أكتر من كده بكتير.. ولما تبقي مكاني.. ده لو حصل.. مش هيكون عندك حاجة تحكيها.. يلا نبدأ المحاضرة.

كان أنور في منتهى الثباتِ، لقد رأى في الدنيا أصعبَ بكثيرٍ من هجومِ طالبةٍ تَدمج بين العربيةِ والإنجليزيةِ في كلامهِا، لكنها لفتت نظرهَ لجرأتهِا فقط، ولتمكنهِا من الإنجليزيةِ وهى عقدتُه كما يُسميها، اللغةُ التي يُحاول دائمًا أن يُتقنها ولا يَنجح بالشكلِ الكافي، لكنها لم تَهزه، فعادةً ما يضع أنور السيناريوهاتِ الأسوأً في تجربةٍ يخوضها للمرةِ الأولى، وهذا كان ألطفَ بكثيرٍ مما توقع، خصوصًا أن باقي المحاضرةِ مرت بسلامٍ شديد، وكان واضحًا على الطلابِ استيعابهُم وعدمُ مللهمِ من أداءهِ في شرحهِ، فقد شعر أنور بنجاحهِ للمرةِ الثانيةِ عندما جاءت له هذه الطالبة لتعتذر عما فعلت.

سلمى: دكتور.. دكتور.. ممكن أقول لحضرتك حاجة.

أنور: اتفضلي.

سلمى: I'm sorry أنا حقيقي غلطانة بس please forgive me أنا مبعرفش أرتب كلامي، أنا أول شهر ليا في مصر ومش عارفة I can't integrate with society فأنا بقول حاجات مقصدهاش

أنور: شوفتي سيبتك تقولي كل حاجة عن نفسك إزاي؟؟ متقلقيش أنا مش زعلان.. أنا كنت في سنكم ومقدر.. وأنا كمان كنت غريب لما جيت هنا.. بس بشكل مختلف شوية.

سلمى: يعني حقيقي سامحتني؟؟

أنور: أيوة.. وهستنى أشوفك المحاضرة اللي جاية.. وهسألك ها.

سلمى: بجد Thank you so much أنا مش عارفة أقولك إيه.

أنور: متقوليش حاجة.. ولو احتاجتي أي حاجة قوليلي على طول.

سلمى: Okay do I take your number ?

أنور: مممم أه.. أه طبعًا

سلمى: اتفضل اكتبه على تليفوني واعمل Missed Call لرقمك

أنور : كده تمام؟

سلمى: تمام Save My number يا دكتور.. بجد شكر أوي

أنور: العفو.. العفو يا سلمى.

ما هذا الانطلاقُ؟ ما هذه الفتاةُ الصغيرةُ التي يخرج من عينيهِا ينابيعُ الطاقةِ الإيجابيةِ، جريئةٌ هى لكنها محددةٌ، سلمى ستكون قصةَ الحبِ الأهمَ في حياةِ الدكتورِ أنور، الذي عاهد نفسَه كما نصحَه أساتذتُه في الجامعةِ ألا يحب ولا يتزوج من طلابِه، لكن كعادةِ الأقدارِ تفعل ما تُريد، ليس ما نُقرر أو نُخطط له، حارب أنور الفكرةَ لعدةِ شهورٍ، لنصفِ عامٍ دراسي تبادلا فيه هو وسلمى كلَ شيءٍ، الخبراتِ، المعلوماتِ، الافكارَ، وحتى الحبَ المخفي

عَرَفَ عنها كلَ شيءٍ، هى كتابٌ مفتوحٌ له، وهو الكتابُ المغلقُ على الجميعِ، وكانت هذه هي الأزمةَ الأكبرَ في علاقتِه بها، ليس بها فقط، لكن بكلِ الناسِ.

تطورت العلاقةُ بينها حتى أصبحت دردشةً على موقعِ التواصلِ الاجتماعي FACEBOOK شبهَ يوميةٍ.

سلمى: هو أنا ينفع أقولك أنور على طول؟؟

أنور: هههههه طالما مش هترتني بالإنجليزي طول الوقت.. أنا موافق.. وبعدين مش تقولي مساء الخير

الأول.

سلمى: لا ما أنا هنا.. بكلم أنور صاحبي مش الدكتور بتاعي.

أنور: ولو.. يعني هو علشان صاحبك مش هتقوليلي مساء الخير؟؟!

سلمى: لا مساء الخير جدًا كمان

أنور: مساء الخير جدًا يا فندم

سلمى: إيه فندم دي؟؟ يعني أنا بقولك يا أنور وأنت تقولي فندم ؟

أنور: لا دي لازمة كده ف كلامي وأكيد هبطلها

سلمى: طيب عاوزة أسأل حاجه

أنور: اسمها عاوزة اسأل على حاجة .. وبعدين حاجة بالتاء المربوطة مش الهاء.. أنا مش هفضل أصلحلحك في الكلام طول الوقت.

سلمى: طب بص بقى.. أولا إحنا دلوقتي بنتكلم باللغة العامية يعني مش حوار

أنور: بس بقى.. بس.. العامية دي مش لغة دي لهجة.. بطلي والنبي وقولي عاوزه تسألي على إيه؟؟

سلمى: Anyway أنا عاوزة أعرف إنت ليه مش كاتب أي

حاجة عندك على fb بتقول أنت منين ولا أنت مدرسة إيه وكده.

أنور: مممممممممم وأنتي عاوزة تعرفي ليه؟

سلمى: عادي يعني كل الناس كاتبه اشمعنى أنت لا يعني؟؟

أنور: كاتبة يا سلمى.. كاتبة علشان خاطري.

سلمى: بص أنا مش فاهمه ايه الفرق يعني.. بس تمام كاتبة

أنور: أنا مبحبش حد يعرف عني حاجة.. غير إن أنا عملت الفيس بوك ده علشان الطلاب وأعرف أتواصل معاهم.. أنا ماليش في الحاجات دي

سلمى: إزاي بس ملكش؟؟

أنور: ولا هو علشان أنتي كنتي عايشة بره بقى وكاتبة كل حاجة عنك فاكرة كل الناس زيك منفتحة

سلمى: يا عم منفتحة إيه بس؟؟؟؟؟ أنت لو تعرف أنا منين وأبويا منين أصلًا مش هتقول كده أبدًا

أنور: ليه منين؟؟

سلمى: بص أنا مبروحش كتير.. بس بابا مصمم كل شوية ياخدنا فيلا العيلة هناك رغم أنها

مهجورة.

أنور: دي فين دي؟

سلمى: مكان اسمه سندنهور

أنور: إيه؟؟

سلمى: إيه؟ تعرفها.

أنور: آه أعرفها.. لحظة واحدة يا سلمى وهرجعلك تاني.

أغلق أنور المحادثةَ وهمَّ بالاتصالِ بالأستاذِ جمال ليسأله عن الاسمِ الذي قالته له سلمى عبد الحكيم كامل، هل يعرف أحدًا بهذا الاسمِ؟

أنور: ألو أستاذ جمال إزيك.

أستاذ جمال: أنور .. إزيك يا ابني

أنور: أستاذ جمال.. إزاي حضرتك .. أنا كنت عاوز أسألك على حاجة.

أستاذ جمال: معلش يا أنور أنا اللي عاوزك ف حاجة.. وكنت هتصل بيك وبقالي شهر بأجل، بس متصلتش أنا عندي خبر ليك.. أنا مش عارف إذا كان هيفرحك ولا يزعلك.

أنور: قول يا أستاذ جمال.. قلقتني.

الأستاذ جمال: هانم.. يا أنور..

أنور: مالها هانم؟

الأستاذ جمال: عملت مشكلة في الشارع.. وبهدلت نحمده قدام جوزها وعايرتها وعملت عمايلها.. راح جوزها رامي على وش هانم ماية نار.

أنور: وبعدين؟؟

الأستاذ جمال: وشها كله اتحرق.. وعميت.. مبقتش تشوف.. ومبتقولش حاجة غير إنها عاوزاك.. عاوزة تقابلك.

أنور: تقابلني تعمل بيا إيه؟؟

الأستاذ جمال: بص يا أنور يا ابني.. أنا مش هغصب عليك ف حاجة.. اللي أنت شايفه اعمله.. بس أنا شايف تجيلها.. هى خلاص اتهدت.. ومحدش ضامن الموت من الحيا يا ابني.. بدل ما تندم

أنور: أنا والله خايف لو جيت أندم أكتر.

الأستاذ جمال: فكر يا ابني وشوف.. واللي يخلصك من ضميرك اعمله.

أنور: يعني حضرتك رأيك آجي؟؟

الأستاذ جمال: أنا شايف كده.. وشايف النهاردة قبل بكرة.. أنا خايف هانم تموت وليها حاجة ف رقبتك.

أنور: حاضر.. حاضر يا أستاذ جمال.. أنا هاجي لحضرتك.

انتهت المكالمةُ مع الأستاذ جمال، وانفجرت الذكرياتُ في ذهنِ أنور، ذكرياتٌ تُشعره بحقدهِ وكرههِ لهانم، وذكرياتٌ تدفعه للحنينِ لها ولفضلهاِ في تربيتهِ على الأقلِ، مزيجٌ يعصفُ بكلِ مشاعرهِ، هل يذهب للمرأةِ التي ضيَّعت عليه فرصةَ أن يكون إنسانًا عاديًا له كلِ ما للناسِ أم للمرأةِ التي ربتَّه واحتضنته وهو غيرُ متأكدٍ حتى من أنها أمُه؟؟!

هل يراها هانم الجبارةَ الشريرةَ؟ أم هانم المنكسرةَ الذليلةَ؟؟

لم يستطع أن يُحدد مشاعرهَ، لكنه حدد موقفهَ بأنه سيذهب لها، سيذهب ليعرف حقيقةَ شعورهِ، وعله يعرف أيضًا حقيقةَ قصتهِ بعد ما فقد الأملَ، فلعل ما حدث لها يُرجعها عن إصرارهِا اللعينِ،

بعد أكثرِ من محاولةٍ، وافق أحدُ السائقين في التطبيقِ الخاصِ بتأجيرِ السياراتِ أن يذهب لهذه القريةَ البعيدةَ بشرطِ أن ينتظره ليعودا سويًا، وكأن القدرَ نفسَه يريد أن يُعطيه الفرصةَ لإعادةِ التفكيرِ مرةٍ أخرى.

تذكر أنه لم يرد على سلمى، فدخل لمحادثاتهِا ليجدها غيرَ متاحةٍ، فترك لها رسالةً كتبَ فيها « الظاهر كلامك عن سندنهور خلاها تطلعلي تاني».

أنور: مساء الخير

السائق: أستاذ أنور؟

أنور: مظبوط

السائق: إحنا زي ما اتفقنا.. إن شاء هنرجع مع بعض؟

أنور: آه اطمن وزي ما الأبلكيشن هيحسب هدفعلك وإحنا راجعين ولو عاوز تسيبه مفتوح .. سيبه.. زي ما تحب.

السائق: زي ما تحب مش هتفرق المهم هنرجع مع بعض علشان ده طريق طويل ولو رجعت فاضي.. وأكيد هرجع فاضي يعني واضح أنها قرية وأكيد محدش هيطلبني هناك.. عشان بس متبقاش بخسارة عليا.

أنور: لا إن شاء الله راجعين سوا ومش هطول هناك.

مرت أكثرُ من ساعةٍ وأنور سارحٌ لم ينطق بكلمةٍ واحدةٍ إلا عندما قاطع شرودَه السائقُ

السائق: أستاذ أنور.. إحنا وصلنا.. بس هو اللوكيشن وقف الظاهر مفيش هنا نت.

أنور: غالبًا آه.. بس متقلقش أنا عارف الطريق.

السائق: طيب أمشي إزاي؟

أنور: ادخل يمين.. وبعدين على طول لحد ما نقابل جامع.. بس امشي براحتك علشان الأرض مش متسفلتة

وفيها مطبات كتير وممكن تلاقي أي عيل بيجري ولا حاجة.

السائق: طيب كويس إنك قولتلي.

على الرغمِ من أن القريةَ مظلمةٌ، فإن أنور كان يرى كلَ التفاصيلِ التي رآها وهو صغيرٌ، له ذكرى هنا مع كلِ شبرٍ، ذكرياتُه بين طياتِ كلِ هذه الأماكنِ، ليست فقط الأماكنُ هى ما تثير ذكرياتِه في قلبهِ، بل الرائحةُ، فرائحةُ القريةِ تختلفُ كلَ الاختلافِ عن رائحةِ المدينةِ، في القريةِ يختلط الترابُ مع رائحةِ الزرعِ مع نسيمِ الأفرانِ في المنازلِ، تختلطُ الطيبةُ مع الأصلِ مع التضحيةِ، تختلطُ كلُ هذه الأشياءُ الجميلةُ مع بعضهاِ البعض لتصنع رائحةَ الريفِ، هذا الخليطُ التي لم تأخذ منه هانم أيَ شيءٍ، فكانت هي الجزءُ السيئُ الذي يُعكر هذا الصفوَ الجميلَ

أنور وهو يطرق بابَ الأستاذ جمال: أستاذ جمال.. يا أستاذ جمال

الأستاذ جمال: يااااه يا أنور.. وحشتني يا ابني والله العظيم وحشتني أوي.. تعالى خش.. تعالى يا حبيبي

أنور: لا والنبي يا أستاذ جمال.. تعالى نروح لهانم على طول.. أنا مخلي الراجل واقف مستنيني بالعربية

الأستاذ جمال: عربية إيه؟؟ أنت مش هتبيت معايا؟؟

أنور: والله ما هقدر.. عندي شغل بكرة.. وأنت عارف أنا مش هقدر أبات هنا

الأستاذ جمال: طب أنا عندي رأي.

أنور: قولي يا أستاذ جمال.

الأستاذ جمال: إنك تروح لوحدك.. يا ابني لازم تبقوا لوحدكوا مينفعش حد يبقى معاكوا في وقت زي ده.. وأنت كبرت خلاص ميتخفش عليك.. وهي خلاص مش هتقدر تعمل حاجة.

أنور: ماشي.. أنا هروح وهعدي على حضرتك وأنا راجع إن شاء الله.

فكر أنور أكثرَ من مرةٍ أن يعود للسيارةِ مرةً أخرى ولا يذهب إلى هانم، خالطته المشاعرُ بشكلٍ مفزعٍ، لا يعرف هل هو لا يستطيع أن يَراها في هذه الحالةِ؟ أم أنه خائفٌ منها؟ أم لأنه لا يستطيعُ أن يتوقع ما ستفعله أم ماذا؟!

كانت خطواتُه ثقيلةً، في غايةِ الثقلِ، يجر قدمهَ ليتقدم خطوةً واحدةً، سنينٌ تمر أمام عينيِه، يمشي في شوارعِ سندنهور المظلمةِ المحفورةِ في عقلهِ وقلبهِ، لن يُخطأَ الطريقَ فهو كان طريقًا لحياتهِ كلهاِ، أخذ يفكر حتى وصل إلى بابِ هانم، نفسُه البابُ الذي كان يدخل منه كل يومَ، نفسُه البابُ الذي كان يتسلقهُ وهو صغيرٌ ليرى العالمَ من أعلى، نفسُه المقبضُ الذي كان ينظر له باستعجابٍ شديدٍ

لكبرِ حجمهِ، كلُ ما تغير أن منسوبَ التربةِ أصبح أعلى ليُشعرك أن البيتَ غَرَسَ في الأرضِ واختفى جزءٌ كبيرٌ منه، لدرجةٍ تجعلك تنزل له بما يساوي درجةَ سلمِ، فتح أنور البابَ الذي أصدر صوتًا جعل هانم تلتفتُ له رغم عدمَ رؤيتهِ

هانم: مين؟؟ مين اللي بره

أنور: أنا

هانم: أنت؟؟ أنت مين؟؟ أنت !! أنت أنور.. آه أنور.. والنعمة أنور.. عرفتك من حسك

أنور: آه أنا أنور

همت هانم بمنتهى السرعةِ لتجري وتتخبط بكلِ شيءٍ حولهِا متجهةً نحو البابِ، ولم يتحرك أنور، لن يتحرك ولم يستطع أن يتحرك، فهو ينظرُ لهذه المرأةِ التي كانت مثالًا للجمالِ، ينظر لتفاصيلِ وجههِا التي تداخلت، لعينيهِا التي لا يَظهر منها إلا بعضُ شعرِ الحاجبِ والرموشِ المتداخلةِ مع الجلدِ المنصهرِ الذي أَغلق عينيها بالكاملِ، وشوَّه شكلَ أنفهِا التي كانت تتكبر على الجميعِ، أصبحت الآن مسخًا من ملامحٍ منصهرةٍ متداخلةٍ لا يظهر منها إلا أن نهايةَ الظلمِ دائمًا مؤلمةٌ.

هانم: أنور.. ابني.. تعالى يا أنور.. والنبي قرب أحسس على وشك.. تعا ف حضني يا بني والنبي

أنور: أنا أهو يا أمَه هانم

هانم: أمَه هانم !! كنت فاكره إنهم هيدفنوني من غير ما ودني تسمعها تاني.. قرب يا أنور خش ف حضني يابني سايقه عليك النبي

أنور: أنا ف حضنك أهو يا هانم

هانم: كبرت..كبرت يا أنور وبقيت راجل.. وشك فيه دقن وشنب.. فاكر يا أنور.. فاكر أما كنت تجيب موس الحلاقة بتاع خالك عشان تحلق بيها عشان يطلعلك دقن

أنور: فاكر

هانم: وفاكر أمك هانم يا أنور؟

أنور: فاكر

هانم: أنت ساكت ليه يا ابني.. حبيبك النبي لتسمعني صوتك

أنور: أنا جيت أهو.. عاوزة مني إيه؟؟

هانم: عاوزة إيه؟؟ عاوزاك جاري ف حضني هنا.. شايف اللي حصلي يا أنور؟؟

أنور: شايف.. بس أنا مش هرجع تاني هنا.. مش هرجع وأنا مش عارف أنا مين.. ولا أنتي فكراني نسيت؟؟ ولا فاكرة إنك هتصعبي عليا من اللي حصلك؟

هانم: يعني مش صعبانة عليك يا ابني؟

أنور: لا.. مش صعبانة عليا !! تصعبي عليا ليه وأنا كنت متأكد إن ربنا هينتقم منك ف يوم من الأيام.. ده أنا كنت مستنني اليوم ده يجي

هانم: شمتان فيا يا أنور؟؟ فرحان ف أمك إنها اتحرقت واتعمت؟؟

أنور: لا شمتان ولا فرحان.. بس ده أقل عقاب ممكن ربنا يحطهولك في الدنيا.. استني بقى عقاب الآخرة

هانم: أنا عارفة إني ظلمتك وجيت عليك بس وحياة ربنا ده يا ابني عشان خاطرك.. عشان متتحروسش وحياتك متضعش زينا

أنور : لسه قدامك فرصة يمكن ربنا يعفو عنك.. قوليلي.. قوليلي اللي مخبياه عليا

هانم: اللي جوايا أنا هموت بيه يا أنور

أنور متهجمًا عليها من رقبتها: انتي إيه؟؟ إنتي إيييه؟؟ مش بني آدمه؟؟ ربنا هيعمل فيكي إيه أكتر من كده عشان تتعظي؟؟ يا ولية انتي خلاص هتموتي.. اعملي حاجة واحدة عدلة قبل ما تموتي.. يمكن.. يمكن ربنا يغفرلك.. اعملي حاجة واحدة بس تتعشمي في سماح ربنا بيها.

هانم بصوت مخنوق: موتني.. موتني يا أنور وارتاح

وريحني.

أنور تاركًا رقبتها: لا.. مش هموتك.. هسيبك تتعذبي وتبقي عبرة للي يسوى واللي ميسواش.. هسيبك تتذلي وتموتي بالبطيء.

هانم: لو ده يخلصك اعمله.. اللي يطيب لك اعمله.

أنور: اللي يطيبلي إني أولع فيكي.. بس أنا جاي وأنا عارف من الأول إنك مش هتقولي حاجة.. في ناس كده خايفة ربنا يسامحها.

وانقطع بذلك الأملُ الأخيرُ لأنور في أن يعرفَ قصتهَ الحقيقةَ، أن يعرفَ من هو أبوه، أن يعرف من أين أتى، هذه المرأةُ ملعونةٌ، لم يقترب منها أحدٌ إلا وطالته اللعنةُ، لكن أنور كان الأقربَ، فطاله النصيبُ الأكبرُ الدائمُ، أغلق أنور هذا الملفَ للأبدِ، فهو لن يعبث بنفسِه لصالحِ قصةٍ لا يعلم ولن يعلم عنها شيئًا.

السائق: إيه يا أستاذ أنور.. انت كنت بتتخانق ولا إيه؟؟

أنور: لا أبدًا أنا كنت بشيل حاجة بس ف هودمي باظت

السائق: هو انت من هنا يا أستاذ أنور؟

أنور: ليه؟؟

السائق: أصل المكان هنا شكله فيه آثار.. وانت بصراحة شكلك ليك ف السكة دي.. وشكلها كانت مصلحة بس

باظت

أنور: هو أنا ليا في الآثار آه.. علشان أنا معيد في كلية آثار مش علشان أنا تاجر فيها.. متقلقش مكنتش بحفر.. ولو طلعت انت ليك فيها صدقني هبلغ عنك

السائق: والمصحف أبدًا مش سكتي

أنور: أمال إيه سكتك بقى؟؟

السائق: حاجة ولا حرام ولا عيب ولا حتى تدخل السجن

أنور: إيه بتوزع تبرعات؟؟

السائق: أنا بتكلم جد.. أنا محتاج واحد زيك معايا في الموضوع ده

أنور: واحد زي إزاي يعني؟؟

السائق: واحد فاهم وعارف ومن حتة شبه دي كده

أنور: هتفهمني ولا نقفل الموضوع ده وتوصلني ونخلص؟

السائق: عش الخفاش

أنور: مش فاهم

السائق: مش انتوا عندكوا هنا حتت مهجورة وغيطان وزرع؟

أنور: آه

السائق: ده المطلوب.. حتة مهجورة.. واحد فاهم ومأمن الحتة دي.. ويكون فيها عش الخفاش

أنور: إيه بقى عش الخفاش

السائق: العش اللي بيبقى عامله الخفاش لنفسه.. أي حتة مهجورة فيها خفافيش بيكون فيها عشوش للخفافيش دي.. بيتهم

أنور: أيوة وإيه المميز في عش الخفاش

السائق: لا ده موضوع كبير أوي محتاج تديني الأمان قبل ما أقولك حاجة

أنور: أمان؟ أمان إيه مش فاهم

السائق: يعني اللي هقوله ده هيبقى بينا عهد.. لا أنا أقدر أخونه ولا أنت تقدر متصونهوش

أنور: قول بس متكبرش الموضوع ع الفاضي

السائق: لا.. مهو مش ع الفاضي.. ده ع المليان والمليان أوي

أنور: مليان إزاي يعني؟

السائق: مليان يعني هيبقى ف جيبك مليون جنيه

أنور: يا جدع؟!

السائق: وكل اللي عليك.. إنك تقولنا المكان ده فيه عش

الخفاش.. وتأمن إننا ندخله لمدة ساعة وحدة

أنور: لا يا عم.. أنا لا عاوز أعرف ولا عاوزك تحكي لي.. ولا عاوز حاجة.. سيبني أنام لحد ما نوصل.. وأنت روح بقى وتعالى وشوف عش الخفاش براحتك.. وأنا أصلًا مش من هنا.. يعني لا هعرف أدلك ولا أأمنك

السائق: طمعت فيها؟

أنور: طمعت ف إيه بس؟؟ يعني افرض رحت لعش الخفاش أنا ولقيته.. إيه؟ هيكلمني يقولي هعمل إيه؟؟ أنا معرفش ولا عاوز أعرف هو بيعمل إيه.. تمام كده؟

السائق: يعني مش هتساعد أخوك يفلق من الفقر وتدلني بس على مكانه؟

أنور: برضو؟

السائق: آه.. أنا عاوز أملين ياعم والملايين تجري ف إيدي

أنور: ياعم؟؟ طيب.. هقولك أنا مين يدلك

السائق: أبوس إيدك

أنور: هانم.. انزل البلد دي واسأل على واحدة اسمها هانم هي اللي عارفة كل حاجة في البلد دي.. بس يا رب تقولك.

## عش الخفاش ٢

سلمى: أنور.. آسفة جدًا.. حقيقي حصلت حاجة ضايقتني معرفتش أفتح بعدها بجد آسفة.. وبعدين إيه موضوع سندنهور طلعتلك ده.. Sorry مش فاهمة

أنور: إيه ده مالك؟؟ إيه اللي حصل؟ إنتي تعبانة؟ مالك بجد؟

سلمى: لا لا مش تعبانة.. متخافش.. أنا بس عندي مشاكل مع بابا لما بيضغط عليا بتعب.. أنا بيحصلي كده من زمان.

أنور: بيحصلك إيه بس؟؟ أنا قلقت جدًا على فكرة.

سلمى: هو أنا ينفع أكلمك؟؟

أنور: ما احنا بنتكلم أهو

سلمى: لا أقصد أكلمك فون يعني

أنور: آه طبعًا.. هكلمك حالًا

***

سلمى: إيه السرعة دي؟؟ إنت كنت بتتلكك علشان تطلبني بقى؟

أنور: عاوزه إيه يا بنتي؟؟ أنا قلقان عليكي يعني عادي فاتصلت بسرعة.. انتي غريبة جدًا

سلمى: مش انت بس اللي شايف كده

أنور: مش أنا بس؟؟ أمال مين كمان؟

سلمى: آه.. بابا كمان شايفني غريبة أوي.. علشان كده رجعني مصر وبيقفل شغله بره وجاي وعاوزنا نقعد في البلد في الفيلا القديمة.. أو زي ما بيسميها بيت العيلة.

أنور: آه.. سندنهور؟

سلمى: آه هههههه الكلمة اللي بتخليك تختفي فجأة دي.. والله أنت كمان غريب جدًا

أنور: الظاهر أن احنا الاتنين أغراب.. إنتي من بلد وعيشتي في بلد ومش عارفة هتكملي حياتك فين.. وأنا كمان . . .

سلمى: أنت كمان إيه؟؟

أنور: ياريت كان ينفع أقولك

سلمى: أنا آسفة.. آسفة إني تدخلت في حاجة ممكن تضايقك.. أنا فكرت إني علشان حكيت لك ممكن تحكيلي

أنور: أولًا إنتي محكيتيش حاجة.. ثانيًا والله أنا أكتر واحد في الدنيا عاوز يحكي.. بس أكيد هيجي اليوم وأحكيلك.

سلمى: طيب استحمل بقى.. لحد ما يجي اليوم ده.. أنا

هفضل أحكيلك وأحكيلك وأحكيلك

أنور: هههههه طيب بالراحة

سلمى: لا استنى.. وأحكيلك وأحكيلك وأحكيلك وأحكيلك

أنور: هههههههه بس خلاص احكي طيب

سلمى: لا فاضل ٢ وأحكيلك وأحكيلك

أنور: هقفل

سلمى: متقدرش

أنور: رجعنا لطولة اللسان تاني أهوو

سلمى: طيب أقولك؟؟

أنور: قولي

سلمى: اقفل

أنور: مممممم

سلمى: ها؟؟؟

أنور: لا خلاص سامحتك

سلمى: لا متسامحنيش اقفل

أنور: بطلي غتاتة بقى

سلمى: غتاااتة !! إيه ده؟؟!! دكتور أنور بيقول كلام عيب زينا هههههههههه

أنور: طيب والله هقفل بجد

سلمى: خلاص خلاص.. عاوزه أحكيلك حاجة.. بس عاوزه أسألك الأول.. تعرف سندنهور منين؟؟

أنور: بلدي

سلمى: لا؟؟!!! يعني إحنا بلدات؟؟!!

أنور: بلدات إيه بس هههههههه اسمها بلديات

سلمى: هههههه من بلد واحدة يعني

أنور: أيوة يا ستي من بلد واحدة.. بس أنا كان بقالي سنين مروحتش ويوم ما جبتي سيريتها.. أجبرت إني أروح وكان يوم مش حلو خالص

سلمى: إيه ده؟ وشي وحش عليك؟؟

أنور: لا طبعًا.. أنا اللي وشي وحش على نفسي تقريبًا هههههههه وده من زمان جدًا ملهوش علاقة بيكي

سلمى: لا إيه ده؟ متقولش كده.. أنت دكتور وناجح وكده

أنور: عندك حق.. نعم ربنا كتير

سلمى: يعني اليوم كان وحش كله؟؟

أنور: مش وحش بس غريب.. ده حتى قفل بسواق بيقولي تعالى تاجر معايا في عش الخفاش.

سلمى: إيه عش الخفاش؟؟ أكل ده؟؟

أنور: هههههههههههه لا مش أكل لا.

سلمى: لا أصل أنتوا في مصر بتاكلوا حاجات غريبة جدًا محدش بياكلها في العالم.. حتى مبفهمش أسماءها

أنور: هههههه زي إيه يعني؟

سلمى: شفه وكرشو باين.

أنور: هههههههههههه لا شفه وكرشو دول أكيد ناس مش أكلات.. ضحكتيني أوي والله

سلمى: بطل أنت بقى تريقة لو سمحت.. أمال اسمهم إيه؟

أنور: فشة وكرشة.

سلمى: أيوة يعني إيه الفرق بين ده وبين اللي أنا قولته

أنور: ولا حاجة هههههه ولا حاجة.. طيب بقولك إيه

سلمى: قولي يا سيدي

أنور: ما تيجي أعزمك على أكلة حلوة

سلمى: إيه ده الله.. أنت جينتل مان كمان.

أنور: أمال إنتي فاكره إيه؟؟ ده إحنا بلديات كمان

سلمى: ها هناكل إيه؟؟

أنور: حلويات.

سلمى: مش حاجة محددة يعني؟؟

أنور: هههههه تعالي بس وهتفهمي.. تحبي نعمل كده إمتى؟

سلمى: دلوقتي.

أنور: دلوقتي دلوقتي؟

سلمى: آه طبعًا يلا دلوقتي.. تعالى خدني لو سمحت أنا في الزمالك.. استنى هبعتلك اللوكيشن.

أنور: أوك.. هحلق دقني وأنزل على طول.

سلمى: لا دقنك إيه؟؟ أصلًا هي حلوة كده..وبعدين هو أنت جاي تخطبني.. يلا هنزل أستناك في الشارع.. أنا عاوزه آكل حلويات.

***

سلمى: إيه ده؟

أنور: إيه؟؟

سلمى: إيه المكان اللي احنا فيه ده؟؟ احنا في شارع غريب جدًا ومفيش أي حلويات هنا

أنور: هههههه لا استني بس.. حلويات يعني محتويات بطن الجاموسة

سلمى: لا استنى.. واحنا ليه هناكل محتويات بطن جاموسة؟؟ إيه ده استنى.. إيه القرف ده؟

أنور: قرف إيه؟؟

سلمى: احنا هناكل بطن جاموسة واكلة حلويات؟؟

انور: هههههههههههه أنتي عارفة لو حد هنا سمعك بتقولي كده هيخطفوكي

سلمى: ليه هما دول أهل الجاموسة اللي هناكل بطنها ولا إيه؟؟

أنور: بس.. بس اسكتي بقى هههههههه

سلمى: لا بجد قولي إحنا فين أنا خايفة جدًا

أنور: إحنا عند بحة.

سلمى: يعني إيه؟؟

أنور: هههههههه هو إيه اللي يعني إيه؟

سلمى: يعني إيه بحة؟

أنور: لا بحة أصلًا يعني بطة.

سلمى: أيوه عارفة البطة طبعًا.. يعني ده بطة اسمها بحة

وإحنا عندها علشان ناكل بطن جاموسة جواها حلويات؟؟
أنور !! إحنا هنا ليه؟؟

هكذا يولد الحبُ، بلا موعدٍ، بلا تجهيزٍ، بلا تناسقٍ بين الحبيبين، جمعهما الأصلُ؟ حتى هذه النقطةُ تؤلم أنور، هو حتى لا يعرف إذا كانت بلدتُه هذه هي بلدتُه الأولى أم لا !! هل هو بالفعلِ منها؟؟ أصبحت هذه الأسئلة لا تشغله كثيرًا، كانت سلمى تُشغله أكثرَ، كان عنفوانُها وطاقتهُا تجعله يشعر أنه «يعيش» أصبحت الحياةُ تبدأ في وجودهِا وتنتهي برحيلهِا لتبدأ ثانيةً بها، كيف دبت هذه الفتاةُ الصغيرةُ الروحَ في روحهِ من جديدٍ؟ كيف جعلته يجرع إلى نفسهِ من منفاهِ الاختياري؟ شب فيه الأملُ وأكلت نارُ الحياةِ خشاشَ اليأسِ، بفضلها هي، بفضلِ هضه الفتاةٍ سمراء الشعرِ، ذاتِ الملامحِ العاديةِ، والصوتِ العادي، والجسدِ العادي، معادلةٌ مكوناتهُا عاديةٌ، ونتيجتهُا مبهرةٌ، فتاةٌ مفعمةٌ بالحياةِ، بل فتاةٌ محفزةٌ على الحياةِ.

سلمى: آه يا عم أنور أنا كده تمام أوي

أنور: يعني تخلينا نسيب بحة وتيجي تاكلي هنا برجر وبطاطس؟

سلمى: على الأقل عارفاه.. مش بطن جاموسة فيها كرشة ونحبس بشوربة كوارع.. والله دي ألغاز مش أسماء أكل

أنور: مسيرك تاكليها وتحبيها جدًا.. وبعدين افرضي

اتجوزتي بيحبهم يعني مش هتعمليهم في البيت؟؟

سلمى: وأنا ليه أتجوز واحد بيحب الحاجات دي؟؟

أنور: ممم آآ صح عندك حق.

سلمى: يا راجل ده كان ناقص ناكل عش الخفاش بتاعك ده

أنور: لا ده مبيتاكلش.. دي حاجة الناس بيدوروا عليها علشان يبقوا أغنيا بسرعة.. ويعملوا ملايين

سلمى: يا راجل؟؟ مالك بتكلمني كأني جهلة كده؟؟! ويا ترى أنت عرفت ليه بيدوروا عليه؟؟

أنور: لا يا ناصحة معرفتش.. عرفيني.

سلمى: قولي لو سمحتي يا أستاذة سلمى قوليلي.

أنور: حااضر.. لو سمحتي يا أستاذة سلمى قولي حالًا بدل ما أشيلك المادة وأخليكي تبوسي إيدي علشان تنجحي.

سلمى: سوري يا دكتور خلاص خلاص.

أنور: ها.

سلمى: بص هو الموضوع له حكاية.. أنا ماما بقالها سنين بتتعالج من الجلطات.. عندها موضوع الجلطات ده متكرر.. وبالمناسبة علشان كده بابا عاوزنا كلنا نكون في مكان واحد.. وبيطمن بس إن العلاج هنا في مصر كويس..

وهيخلص شغله ويجيبها ويجوا هنا على طول

أنور: ألف سلامة عليها.. بس ده إيه علاقته بعش الخفاش؟

سلمى: أنزيم "ديزموتبلاس"

أنور: ماله؟

سلمى: الأنزيم ده بيقولوا إنه بيشفي من الجلطات أكتر ٢٠ مرة من أي دوا.. والناس اللي بتدور عليه أغنيا جدًا لمرحلة إنهم مستعدين يدفعوا ملايين الدولارات علشان يخفوا من الجلطات أو متجيلهومش جلطات.

أنور: أنا كنت فاكر حاجة تانية خالص.. كنت فاكر إنه زبيق أحمر والشغل ده.

سلمى: مهو ده كمان بيتقال.. بس مفيش أي دليل عليه.. الحقيقي إن الخفاش لما بيهجم على أي ضحية فعلًا بيفرز المادة دي علشان هو بيتغذى ع الدم ومن مصلحته إنه ميحصلش أي تجلط للدم في الضحية بتاعته.. ف المادة اللي بيفزرها دي فعلًا بتمنع التجلط.. بس لسه في علماء كتير شغالين في أبحاثهم عليه.. لكن العش نفسه مفيش حد عارف هو ليه موجود.. ولا إيه اللي جواه ولا ليه هو مقفول أوي كده ومبيستخدمش حتى في الولادة ولا تربية الخفافيش الصغيرة.

أنور: إيه ده؟؟ ده أنتي طلعتي باحثة بجد.

سلمى: أنا على فكرة وقت الجد جد.. وأنا أشطر واحدة في الدفعة في الSearch على أي حاجة عاوزينها.. وبعرف أجيب المعلومات من كل المصادر على فكرة.

أنور: دي حاجة تانية إنتي شاطرة فيها أهو.

سلمى: وإيه الحاجة الأولانية؟

أنور: إنك بتعرفي تختاري.. ومقرره هتكملي حياتك مع مين وشكله إيه.

سلمى: إيه ده لا مش فاهمة!

أنور: سيبك سيبك.. تعالي يلا علشان أوصلك.

لاحظت سلمى أن جُملةَ الاختيارِ لم تمر على أنور مرورَ الكرامِ، تأكدت مما كانت تُريد، كانت تُفكر، هل هي فقط من انجذبت له سريعًا؟ أم أنه أيضًا يُفكر بها؟ لكن سلمى فتاةٌ ذكيةٌ بالفعلِ، لا تُباشر بما تُريد، لكنها تعرف ما تريد بشكلٍ لا يدع مجالًا للشكِ، الآن تأكدت أن أنور يبحث فيها عن حبيبتهِ، فعليها الآن أن تعرفَ من هي الحبيبةُ في خيالهِ، لتتأكد أنها هي، هي لن تَقبل احتمالًا آخر.

## عش الخفاش ٣

اتفقا، رغم أن كلَ العوالمِ تُوكد اختلافهمَا، إلا أنهما، اتفقا على أن تكون معلوماتهمُا عن عشِ الخفاشِ حقيقيةً،

قد يفوزوا بسبقِ بحثي، وقد يساعدها أنور على علاجِ أمهاِ التي تعاني من سنين، اتفقا على هذا المشوارِ، وكان بينهم وعدٌ، أن يتبادلا كلَ المعلوماتِ، وتطور الوعدُ إلى عهدِ أن يبحثا سويًا ليعلما كلَ شيء معًا.

سلمى: طيب أنا عندي فكرة

أنور: إحنا ليه بندور على الإنترنت بس؟؟ الإنترنت سواء في مصادر عربية أو أجنبية مفيهوش أكتر من اللي عرفناه بس كل حد بيعرضه بشكل مختلف، احنا ليه مننزلش الأرض فعلا؟

أنور: يعني ندور على عش الخفاش بنفسنا؟

سلمى: مش بس كده.. احنا هنعمل ال Process كاملة

أنور: إزاي؟

سلمى: يعني احنا هنعمل صفحة على فيس بوك.. نقول فيها إننا بنبيع ونشتري عش الخفاش.. ونشوف التجارة والعالم ه بيحصل جواه إيه

أنور: بس دي ممكن تعملنا مشكلة كبيرة

سلمى: زي إيه؟؟

أنور: نتحاكم بشكل قانوني مثلًا؟

سلمى: على إيه يا أنور؟؟ هو في قانون بيحاسب الناس

اللي بيبيعوا عش الخفاش؟؟ هو إيه عش الخفاش أصلًا؟

أنور: أنا فاهم إنه مش زي الآثار ولا هو مخدر ولا حاجة بتتشرب.. بس فكرة إنه بفلوس كتير أوي كده.. أكيد دي فلوس لحاجة ممنوعة.. وبعدين هو لو فعلًا دوا.. ليه ميبقاش لكل الناس؟

سلمى: هو أنت صدقت إننا هنبيع ونشتري؟؟ إحنا هنفهم بس.. ولو طلع الموضوع حقيقي هنحاول بكل الطرق نظهر ده لكل الناس وللدولة وهي تتحرك تجاه ده وتخليه لكل الناس أو تحاكم اللي بيهربه لو هو فعلًا محظور.

أنور: لا إحنا لازم نسأل حد يطمنا في النقطة دي.

سلمى: طيب أنت اسأل وأنا هعمل الصفحة.. وبص هخلي حد من بره يعملهالي علشان لو فعلًا فيها مشكلة نقفلها وميبقاش حصل حاجة.

أنور: ماشي يا سلمى.. ربنا يستر.

سلمى: هيستر.. هيستر علشان إحنا نيتنا خير.. أنت عارف يعني إيه أمي تتعالج وترجع تمشي وتنطق زي الأول؟؟ حقيقي أنا عمري ما هبقى عاوزة حاجة تاني من الدنيا.

أنور: ولا أي حاجة؟

سلمى: مش فاهمة.

أنور: لا فاهمة.

سلمى: دكتور أنور

أنور: يا سلام !! دلوقتي دكتور؟؟

سلمى: أنت عاوز إيه؟

أنور: عاوز نكمل طريقنا سوا.. عاوز نتكلم بصراحة ونقول كل حاجة كل واحد فينا حاسس بيها وصدقيني لو مشاعرنا مش واحدة احنا هنفضل أصدقاء وهنكمل مشوارنا اللي له علاقة بعلاج مامتك

سلمى: هو أنت تعرف حاجة عني؟

انور: مش مهم أعرف حاجة عنك.. وبعدين أنا عارف إننا بلديات

سلمى: مش يمكن يكون في بين عائلتنا مشاكل مثلًا؟؟

أنور: لا اطمني.. مفيش

سلمى: مفيش إيه؟

أنور: مفيش عيلة أصلًا علشان يكون في مشاكل

سلمى: يعني إيه؟

انور: أنا هحكيلك بس في الوقت المناسب.. ولو أصلًا إنتي موافقة أحكيلك

سلمى: طبعًا موافقة.. وعارفة إنك عارف إني معجبة بيك من تاني يوم عرفتم فيه

أنور: هههههه تاني يوم؟؟ بيقولوا من أول يوم

سلمى: لا أول يوم كنت رخم

أنور: بنت

سلمى: لا بنت إيه بقى.. أنا هبقى مدام دكتور أنور

أنور: هههههههههه على طول كده؟

سلمى: أنا أحب أدخل في المواضيع على طول

أنور: بس في حاجات لازم تعرفيها

سلمى: اعتبرني عرفاها يا سيدي

أنور: هنشوف.. بس خلينا نتكلم بعد ما نخلص موضوعنا

سلمى: قشطة يا دكتره

أنور: إيه اللي حصل؟

سلمى: لا أنا بتعلم بسرعة جدًا.. بكرة أدخل عليك معايا ميكروباص

أنور: استر يا رب .. طيب قوليلي هنعمل فيه بعد الصفحة؟

سلمى: هنروح مكان مهجور ندور فيه على عش الخفاش

أنور: وده فين المكان ده؟؟

سلمى: بيت العيلة.. فيلا جدو القديمة.. في بلدنا يا أنور

قررت سلمى أن تُعيده لكلِ شيءٍ، كلِ الذكرياتِ المؤلمةِ بحيرتهاِ، القاسيةِ بقدرتهاِ على وضعهِ على حافةِ الضياعِ، البائسةِ بكل معاني البؤسِ، لكنه لم يرفض، ولم يشعر بذلك، أو بالحقِ، تجاهل هذا الشعورَ ليكون بجانبهِا في كلِ الخطواتِ، تخيل أن تكون سببًا في شفاءِ أمِ حبيبتكِ، وأن تبدأَ حياتكمُا بعملٍ واكتشافٍ مفيدٍ كهذا ليس لكما فقط بل لكلِ الناسِ، هذا هو السيناريوُ الأفضل من وجهةِ نظرِ أي شخصٍ، بدايةُ حياةٍ نموذجيةٍ ومثاليةٍ، لعلها الخاتمةُ السعيدةُ للقصةِ المؤلمةِ، لعل فصولَ القصةِ القادمةِ أسعدُ وأفضلُ، لعلها كذلك.

لم يخبر أنور أحدًا بقدومهِ للقريةِ حتى الأستاذ جمال، قرر أن يدخل ويخرج كغريبٍ، ليصُدق هو شخصيًا أنه غريبٌ، ليرى بنفسه أن كلَ ما بداخلهِ لهذه الذكرياتِ، قد مات.

أنور: لما كنت عايش هنا وأنا عيل صغير، كنت ببص للقصر على إنه مكان مينفعش أحلم أدخله.. وأنا كنت عيل عنيد.. بس عِندي خلاني محبش أدخل القصر.. لأن كل الناس هنا كانت عارفة إن اللي هيدخل هنا.. هيدخل خدام.. مفيش طريقة تانية تدخل هنا غير لو هتشتغل عندهم.. بس كانوا بيقولوا إن كامل باشا كان بيدخل الناس ويقعد معاهم

ويرسمهم.. كان غير كل ولاده.. أبوكي زيه؟؟

سلمى: أبويا؟؟ لا أبويا عكسه تمامًا.. بابا بيشتغل علشان يبعد عن الناس.. علشان يوسع الفرق بينهم.. هو مكنش بيحب طريقة جدو الله يرحمه.. ولا طريقة عمو عبد العظيم.. وكان بيعتبره واحد بيراعي مصالحهم ف البلد وأهو من العيلة مش هيسرقنا.. وهو كان راجل عظيم على اسمه.. بس نهايته كانت غريبة أوي.

أنور: إيه ده؟

سلمى: إيه؟؟

أنور: هي اللوحة دي حقيقية؟

سلمى: بابا بيقول كل حاجة هنا حقيقية.. كل حاجة جدو كان عاملها كانت من صنعه أو صنع ناس هو كان بيشرف عليهم.

أنور: المكان ده إزاي مهجور؟

سلمى: علشان الجنة من غير ناس هتبقى مهجورة يا أنور.. أهم حاجة الناس.. ودي نقطة خلافي مع بابا.. أنا شايفة الناس مهمة.. وهو شايف إن أهم حاجة نبعد عن الناس

أنور: وانتي وباباكي بقى عايشين مع بعض إزاي؟ الاختلاف الكبير ده أكيد عامل مشاكل.

سلمى: بص أنا مش هخبي عليك.. أنا مبحبش بابا.. بابا قاسي .. قاسي أوي.. قاسي عليا أنا وماما وهو بيقول إن دي عملية وإننا ناس حالمين ومش عاملين حساب للدنيا.

أنور: حد يبقى عنده أب وميحبهوش يا سلمى؟

سلمى: أه.. أنا.

أنور: أنتي مش فاهمة حاجة

سلمى: فهمني.

أنور: بعدين.. بعدين أفهمك .. إحنا هندور فين في المتحف اللي عامله جدك ده؟

سلمى: بص هو بابا حاول يشرح لي.. بس أنا مفهمتش أوي.. بس هو بيت صعب توصل لكل حاجة فيه.. جدو كان عامل أماكن يستخبوا فيها وأماكن لتخزين المحاصيل وكده.

أنور: آه.. إحنا جايين ندور على لغز جوه لغز.

سلمى: ما هو عمرنا ما هنلاقي حل اللغز غير لما نمر بألغاز تانية.

أنور: أنا حاسس حاجة غريبة أوي.. بصراحة مش عارف أقولهالك إزاي.

سلمى: إيه هي.. قول.

أنور: حاسس إني جيت هنا قبل كده.

سلمى: جايز جيت مع حد من أهلك هنا وأنت صغير.

أنور: مستحيل.. اللي أنا حاسه مش إحساس زيارة.. حاسس إنه.. إنه بيتي.

سلمى: لا فكك لما نتجوز مش هنقعد هنا.

أنور: أنا بتكلم جد.. بس سيبك من إحساسي ده خلينا ندور على عش الخفاش اللي إحنا جايين علشانه.

سلمى: تعالى نمشي من هنا.. بس المكان هنا ضلمة أوي.

أنور: مهو لازم يكون ضلمة علشان يعيش هنا

سلمى: بس إحنا محتاجين نور

أنور: هنور بموبايلي.. بس مش كتير لأنه قرب يفصل شحن

سلمى: أوك.. لو فصل هنور بموبايلي

أنور: أهو.. نورت لحضرتك

سلمى صارخة: إيه ده؟؟

أنور: إيه يا سلمى؟؟ إيه؟؟ تمثال.. تمثال متخافيش.

سلمى: والله افتركته حد فعلا.. في كده؟ في تمثال زي

البني آدم كده؟؟

# مذكراتُ د. عبدالعظيم

## الملفُ الثالثُ عشر «خيانةُ أريانا والانتقامُ المبتكرُ»

بعدَ مرورِ ٦ أشهر على وصولِ المولدِ الثالثِ، لم يعد شيءٌ يربط بين عبد العظيم و أريانا، لا شيءَ بينهما سوا الهجرُ، هجر كلُ منهما الآخر بشكلٍ كلي، لكنها فعلت هي ما تريد، أعادت ترتيبَ الأمورِ كما يجب من وجهةِ نظرِها، اختفت هانم، وصمت عبد العظيم للأبدِ، غرق وسط كتاباتهِ، انشغل بكتابةِ مذكراته لسببٍ لا يعلمه حتى هو، انهمر في كتابةِ كلِ ما يُمكن كتابتُه عن ذكرياتِه مع والدهِ وعن حبهِ الأولِ أريانا وعن خطأهِ مع هانم، كتب كلَ التفاصيلِ كأنه يشرح حياتَه لشخصٍ سيُكمل هو هذه الحياة، كأنه يُسلم أمانةً بمنتهى الأمانةِ.

لم يكذب عبد العظيم في كلمةٍ من مذكراتِه، اعترف بخطاياهِ، كان يكتب كشخصٍ يضمن شيئًا من اثنين إما النجاةُ المؤكدةُ وإما الموتُ المؤكدُ، بنى آدم لا يكونوا في هذه الحالةِ من الصدقِ إلا ومعهم ضمانٌ إما بالحياةِ أو بالموتِ.

لم يكفِ أريانا كلَ ذلك، لم يكن ما حدث ليُطفئ نارهَا، كانت تبحث دائمًا عما يُعكر حياةَ عبد العظيم ولا يُرجعه مرةً أخرى إلى الخادمةِ هانم، كانت تريد الانتقامَ منه بأي شكلٍ، على الرغمِ من زحمةِ حياتهِا، فإنها لا تفكر إلا في الانتقامِ،

لكن في بعضِ الأحيانِ لا يسمح لك القدرُ أن تنتقم، ليقوم هو بهذا الدورِ.

هانم: أنا هرجع الفيلا

حامد: ترجعي بعد اللي عمله؟؟ ده انتي كنتي هتموتي.. ياكش ناسيه عمل فيكي إيه؟؟ ده قال هيقتلنا احنا الجوز لو هوبنا نواحي الفيلا.

هانم: وأنا بقولك حتمًا أرجع.. وهرجع

حامد: ليه وإزاي؟؟ ما تخلينا عايشين بقى يا هاانم هو احنا هنقعد حياتنا كلها نهابر وننكت في نفسنا؟؟!!

هانم: آه.. عشان اللي بينا وبين عيلة عبد العظيم مبقاش حق أبوك وأمك بس بقى حق ابني اللي موته ف بطني عبد العظيم.. حق ضنايا اللي مات قبل ما يجي للدنيا.. حق النزيف اللي كان هيطلع روحي.. أنا شوفت الموت.. شوفت الموت بعيني.. موت حتة اللحمة الحمرا وموتي من الضرب من عبد العظيم.

حامد: يا هانم.. يا هانم كفاينا أبوس ايديكي.

هانم: وحياة ابني اللي مات في بطني بايد أبوه لأندم أبوه وأحزنه على عياله.. أنت لسه معاك مفتاح الفيلا؟

حامد: آه لسه داريته وأنا ماشي.

هانم: هاته.

حامد: خدي أهه.. بس رسيني هتشندلي إيه؟ الله يخرب مطنك.

هانم: العيل اللي جابته أريانا ده كان المفروض يبقى ضنايا أنا.. هاخده.

حامد: يا خرابي يا خرابي.. وهتروحي الفيلا إزاي؟؟ ده ضربك طلقة ف رجلك لما قولتيله مش هسقط اللي ف بطني.. انتي ظنك لما تدخلي عليه الفيلا هيقولك يا مراحب؟؟ ده قليله هيدهالك المرة دي في راسك ولا ف قلبك.

هانم: خلاص مروحش أنا

حامد: أمال مين؟

هانم: أنت

حامد: يا لهو بالك يا حاامد.. لاهو انتي مش مقضيكي الشحططة اللي احنا فيها دي وتلطيمنا من كفر للتاني عاوزه كمان نموت متشردين؟؟

هانم: هتتلفح وتتدارى ف قلب الفلاحين وهما بيدخلوا الزرع وهتخرج بالعيل ودوغري على هنا

حامد: لا والله؟؟!! يكش رامين الواد هما في الجنينة؟؟! لا هو انتي مش دريانه بالفيلا واللي فيها

هانم: ما أنا روخره هبقى معاك.. أنا هروح عند باب الفيلا الوراني وأصوت وألمهم عليا وأقوله انزلي يا عبد العظيم بيه.. وهو أكيد هينزل وف ديله أريانا على ما يهديني ويخليني منطقش.. تكون خدت الواد ونزلت.

حامد: انتي دريانه لو اتكشفنا هيحصل فينا إيه؟

هانم: هنموت.

دخل حامد إلى البيتِ متخفيًا، حاملًا لبعضِ الأغراضِ، يتلصصُ النظرَ في كلِ مكانٍ ليبحث عن المكانِ المناسبِ للاختباءِ به حتى الوقتُ الموعودُ الذي سيسرق فيه الطفلَ ويُخبئه في جوالٍ مُعدٍ خصيصًا لهذا الغرضِ، اطمئن عندما سمع من الخدمِ أن عبد العظيم بيه خارجَ القريةِ وسيعود اليومَ متأخرًا أو غدًا في الغالبِ، وعلى الجانبِ الآخرِ استعدت هانم لتكون جاهزةً لإطلاقِ صراخِها للفتِ الانتباهِ دون أن يراها أحدٌ، لكنها عندما رأت موقعَ الرجالِ والنساءِ بالفيلا، غيرت الخطةَ دون أن يدري حامد، وهو الشيءُ الأخطرُ في عمليةِ الخطفِ، فبدلًا من أن تصرخ لتلم البشرَ حولها، أشعلت النارَ في كومةٍ من القشِ متصلةٍ بأكوامٍ كثيرةٍ غيرِها، لتكون نارًا لن يقوى على إخمادِها إلا العددُ الموجودُ وأكثر، على الجانبِ الآخرِ كان الشيءُ الذي سيشعل هذا البيتَ حقًا، عرَّف عبد العظيم أريانا بالأستاذ جمال، أستاذِ التاريخِ بالقريةِ كي يُعلمها تاريخَ البلدةِ وتاريخَ مصرِ بالكاملِ، هذا الأستاذُ الذي كان يدخل الفيلا من

وقتٍ لآخر، كانت كلُ زياراتهِ مبررةً والكلُ يعلم أنها بعلمٍ وطلبٍ من عبد العظيم، الأستاذ جمال الذي أوقع أريانا في حبِه في ظلِ إهمالِ عبد العظيم لها، الذي جعل بناتهَا يُنادونه بـ»بابا» كما ينادون عبد العظيم، الأستاذ جمال الذي ارتمت أريانا في أحضانِه في شقتهِا في الإسكندريةِ أكثر مما ارتمت في أحضانِ عبد العظيم في حياتهِا كلهِا، هذا الرجلُ الذي احتل قلبهاَ وأدمنتَه وأنقذهاَ من نفسهِا عندما قررت الانتحارَ، هذا الرجلُ الذي تُعده أهمَ من حياتهاِ وأقيمَ، فالوضعُ الآن كالتالي من ثلاثِ جهاتِ

الأولى والتي فيها هانم تستعدُ لإشعالِ الأكوامِ، وحامد قابعٌ في مخبأِ يرى الطفلَ وحيدًا في لفتهِ البيضاء بالقربِ من غرفةِ أمهِ.

والثانية ل أريانا الغارقةِ في أحضانِ جمال في غرفتهِا تاركةً طفلهَا في لفتهِ البيضاء بالقربِ منها لتسمع صوتَه إن اقترب أحدٌ من غرفتهِا

أما الثالثة فكانت لعبد العظيم، الذي جاء قبلَ موعدهِ بعدةِ ساعاتٍ ليدخل على زوجتهِ أريانا وهي في أحضانِ جمال ويراهم جميعًا حامد، وهانم فقد أشعلت الأكوامَ وشغلت كلَ من في البيتِ، كلهمَ، إلا أصحابَ هذه الغرفةِ اللعينةِ التي تحمل في طياتهِا الآن كلَ أنواعِ الخيانةِ والخُبثِ والجُرمِ، لكن ما فعله عبد العظيم كان المفاجأةَ الكبرى، دخل عبد العظيم وعينيه كلهُا استسلامٌ ويأسٌ من الحياةِ يبدو عليه

التعبُ والإرهاقُ واللا أمل في شيءٍ، وكان مثالًا لكلِ من يريد في ردِ الفعلِ غيرِ المتوقعِ.

عبد العظيم: أراينا؟!!

فاقت أريانا في ثوانٍ معدودةٍ من غيبوبةِ متعتهِا في أحضانِ جمال احتمت خلفَ جمال، الذي توقف كالتمثالِ المحنطِ، لا ينطق بكلمةٍ ولا تُغلق عيناه ولو لحظةِ، تسمر وانتظر أن يُطلق عليه عبد العظيم الرصاصَ ليُنهي هذه القصةِ بالطريقةِ المتوقعةِ، فلكلِ خائنٍ يومٌ ليموت بفضيحتِه، فإن ماتت معه كان محظوظًا وإن لم تمت كان الخائنَ التعيسَ.

تحرك عبد العظيم خطواتٍ ثابتةً، ليلتقط الكاميرا التي أتت له بها أريانا كهديةٍ، ويلتقط لهم الصورَ وهو في غايةِ الثباتِ، ثم يطلب من جمال أن يرحل بهدوءٍ، وانتظره حتى يُكمل ارتداءَ ملابسهِ، جلس بجانبِ أريانا بكاملِ هدوئهِ وهو يقول:

عبد العظيم: ها.. تحبي تموتي إزاي؟؟

أريانا باكية: عبد العظيم..

عبد العظيم مقاطعًا: إيه؟؟ عاوزة تخونيني ومتموتيش؟؟ طيب لحظة واحدة أنادي على بناتك.

أريانا : لا لا اقتلني.. اقتلني أبوس إيدك ومتعملش كده

عبد العظيم: طيب.. تحبي تموتي إزاي؟؟ تحبي تموتي إزاي يا خاية يا أقذر حاجة حصلت في حياتي؟؟ تحبي تموتي إزاي؟؟ ماهو أنا اللي غلطان إني صدقتك ولميتك من الشوارع لا أعرفلك أصل ولا فصل تلاقيكي بنت زنا ورموكي، أنا مستغرب إني سايبك عايشة لغاية اللحظة اللي احنا فيها دي يا أوسخ مرة خلقها ربنا.

أريانا : علشان خاطر ولادنا اقتلني من غير فضايح.. أبوس إيدك ورجلك

عبد العظيم: لا ما هو لو متي هوريهم صورك برضو.. لازم يعرفوا إنهم ولاد ست خاينة وان أبوهم معرفش يحكم مراته.. لازم يعرفوا إنهم من عيلة تعر.

أريانا : هتستفيد إيه؟؟ اقتلني.. اقتلني وخلاص وقولهم ماتت

عبد العظيم: وأريحك وأعيش أنا بنارك؟؟ تموتي إنتي وأنا اللي أعيش بعاري؟؟ ما أنا لو كنت عاوز فضيحة كنت قتلتك إنتي وهو.. صحيح كان بيروحلك إسكندرية؟؟

أريانا : آآآ

عبد العظيم: لا لا ردي عليا!!!! كان بيروحلك إسكندرية؟؟

أريانا : آه

عبد العظيم: آه.. يعني أنا معرفش الواد اللي بره ده ابني

ولا ابن مين كمان؟؟

مسكها عبد العظيم من شعرِها، ووضع وجههاَ على المرآةِ وضغط عليه حتى تشرخت المرآةُ، اختلط دمهُا بدموعهاِ وكسرَ الزجاجَ الصغيرَ ودخل فمهَا وتساقط منه.

عبد العظيم: انطقي يا خاينة.. انطقي ابن مين؟

أريانا : معرفش.. والله ما أعرف .. والله العظيم ما أعرف

عبد العظيم: أنا هخليكي تعرفي.. أنا هخليكي تعرفي.

كامل باشا عندما صمم هذا البيتَ، صمم به غرفةً سِريةً موصولةً بنفقٍ بطولِ الفيلا بأكملهاِ، فهو كطريقِ للقطرِ يمر على المنزلِ بأكملهِ، له مدخلان أعدهما للهروبِ إن ساءت الأحوالُ السياسيةُ أو تعرضَ لأيِ هجومٍ مفاجئٍ، المدخلُ هو بيتُ الكلبِ الذي لم يدخله أيُ كلبٍ في يومٍ من الأيامِ وهو المدخلُ الأولُ، أما المدخلُ الثاني فهو خلفَ بابِ الوداعِ، يوجد بابٌ أفقيٌ لا يُفتح إلا من الداخلِ، سحب عبد العظيم أريانا من يدِها كمن يسحب الخرافَ يومَ الذبحِ، لكن هذه المرةِ بغيرِ مقاومةٍ من المذبوحِ، كانت أريانا تطيعه في كلِ ما يأمر، كانت لا تتناقش ولا ترفع عينيها ولا صوتهَا حتى، لا تنطق إلا بـ»حاضر»

أخذها عبد العظيم واستغل انشغالَ الجميعِ بالحريقِ الذي أخذ يكبر دقيقةً بعد أخرى، وأوشك أن يحرق المنطقةَ

بأكملِها لتطاير القشِ على أسطحِ المنازلِ المليئةِ بالأخشابِ والموادِ القابلةِ للاشتعالِ، فتح بابَ بيتِ الكلبِ الذي لم يَقربه أحدٌ من قبلُ، كانت هذه المنطقةُ كمنطقةٍ مهجورةٍ حتى على الخدمِ، كانت لا تدخل إليها لتنظيفِها إلا الستُ عزيزة، وبعدها لم يدخل لها أحدٌ، دخلا سويًا إلى هذا المكانِ المظلمِ الذي اختلطت فيه أنوارُ النارِ بنارِ الانتقامِ التي تخرج من عينِ عبد العظيم، كانت أريانا تشعر بأن النهايةِ قد آنت فلا فارقُ بين أشكالِها، وكان عبد العظيم يريد أن يصل إلى أعظمِ طريقةٍ للانتقامِ، ويريد أيضًا أن يعرف هل هذا الولدُ القابعُ في الأعلى ابنُه أم ابنُ جمال، لذلك أبقى عليها ودخل بها إلى هذا النفقِ التحتي في أسفلِ منزلهمِ، هذا المكانُ المهجورُ المليءُ بالحشراتِ القارصةِ التي تعتبرهم الآن غزاةً يحتلون بيتهمَ الهادئ منذ عشراتِ السنين.

عبد العظيم: أنا مش هموتك.. أنتي هتفضلي هنا .. هتعيشي وتموتي هنا.. وأنا همشي وأقولهم إنك كنتي معايا وموتي وأنا دفنتك في إسكندرية.

أريانا : مش هتموتني ليه؟؟ موتني.. أرجوك موتني.

عبد العظيم: الموت للي زيك راحة.. والحياة للي زي عذاب.. والعذاب ده كله بسببك لازم تفضلي معايا في العذاب ده.. وإذا قررتي تعملي أي صوت أو أي محاولة إنك تطلعي من هنا مش هتعرفي.. ولو عرفتي.. اعرفي إن دي اللحظة اللي ولادك هيشوفوا فيها صورك في حضن

جمال.

أريانا : والله العظيم ما هحاول أعمل أي حاجة.. أنا هفضل هنا لحد ما أموت.

عبد العظيم: لا.. مش هتموتي.. ولو سبتي نفسك تموتي برضو هعرفهم.. مش هتموتي قبل ما تقوليلي.. الواد اللي فوق ده ابن مين؟؟

أريانا : والله العظيم ما أعرف.. أقسم بالله ما أعرف.. أنا لما شوفت الورقة اللي وصلهالي حامد ومكتوب فيها إنك اتجوزت هانم.. جيت تاني يوم.. وجمال.. جمال كان معايا قبلها بيوم.. واللي حصل بينا كان تاني يوم.. والله العظيم ما أعرف.

عبد العظيم: أنا هعرف.. هعرف لما تشوفي الموت بعنيكي كل يوم ومطوليهوش.

وفي هذه الأثناءِ كان حامد قد أتم خطتَه هو وهانم، وكانا قد تركا القريةَ وفي حضنهِا الطفلُ، الطفلُ الذي اعتبرتُه عوضًا لعمرهاِ الذي ضاع، وحلمهَا الذي تحطم، هذا الولدُ الذي ستأخذه وتهرب ثانيةً هى وحامد.

عبد العظيم: فين أخوكوا

رينا: منعرفش يا بابا.. إحنا خوفنا من النار وقفلنا على نفسنا

عبد العظيم: قفلتوا على نفسكوا من غير أخوكو؟؟

رينا: هو كان مع ماما

عبد العظيم: ماما !!

رينا: هى فين ماما؟؟

عبد العظيم: معرفش أخدت أخوكو وخرجت أكيد.. انتوا خدوا بالكوا من نفسكوا وكلوا ومتخرجوش من الفيلا حتى لو فضلنا بره لحد بكرة.

أخذ عبد العظيم سيارتَه وذهب بعيدًا، ابتعد لينظر لنفسهِ بعد كلِ هذه السنوات، مر أمامه ٤٦ عامًا، رأى نفسه وهو طفلٌ يأخذه أبوه للإسكندريةِ، وهو يقرأ مذكراتِ أبيهِ، وهو يتعرف على أريانا، وهو يتزوجهُا، رأى رينا في لحظاتهِا الأولى، ثم ساندرا، ثم كامل ابنهَ الأخيرَ، ابنهَ غيرَ المؤكدِ، ابنهَ الذي لا يعرف إذا كان ابنهَ من الأساسِ أم ابنُ جمال، تذكر كلَ شيءٍ في حياتهِ، ولم يتذكرها، لم تأتِ على بالهِ، لم يتذكر هانم، فهكذا الإنسانُ لا يتذكر نفسهَ وهو ظالمٌ، الأسهلُ أن يشعر ويتؤكد ويبرهن على أنه مظلومٌ.

عاد عبد العظيم في اليومِ التالي لينشر خبرَ وفاةِ أريانا التي دفنها هي وابنهِا بعد حادثةِ لهما وهى في سيارةِ إحدى قريباتهِا وكامل ابنهما في الإسكندريةِ، كان الخبرُ صادمًا للجميعِ، أقام عزاءً استمر لثلاثةِ أيامٍ، تقبل العزاءَ فيها وابنهما - إن صدقَ القولُ- وكان كلُ يومِ بعد العزاءِ يقذف

لها كيسًا به ما يكفيها من طعامٍ وشرابٍ لتبقى على قيدِ الحياةِ، ومرت الأيامُ على هذا المنوالِ، لم يتعرض عبد العظيم للأستاذ جمال بأي فعلٍ، ولم ينطق الأستاذ جمال أيضًا بأي شيءٍ، وكأنهما عقدا اتفاقًا أن الذي حدث لم يحدث، وعليه، الوحيدُ الذي كان يعرف أن أريانا قُتلت، وكامل تم إخفاؤه، هو الأستاذ جمال.

ظل عبد العظيم معتكفًا ليفكر في كلِ الطرقِ التي تُبعد عنه الشبهةَ في قتلِها، خصوصًا بعد ما سمع من البعضِ أن القليلَ من الفلاحين غيرُ مقتنعين بقصةِ الحادثةِ، وأنه لم يأتِ بجثةِ ابنهِ حتى إلى هنا لتُدفن في مدافنِ عائلتهِ التي لم يستعد منها أحدٌ ليحضر العزاءَ حتى.

رينا: بابا هى ماما ماتت فعلا؟

عبد العظيم: إيه ؟؟ يعني إيه يا رينا؟

رينا: يعني خلاص مش هنشوفها تاني ولا هى ولا كامل؟؟ هما وحشوني أوي.

عبد العظيم: معلش يا حبيبتي ادعيلهم ربنا يرحمهم

رينا: طيب بابا موتنا احنا كمان علشان نروح معاهم

عبد العظيم: إيه ؟؟ تعالي.. تعالي يا رينا في حضني

رينا: أنا وساندرا مش عاوزين نعيش من غيرهم وهما ماتوا واحنا كمان عاوزين نموت

عبد العظيم: الموت يا حبيبتي بإيد ربنا.. انا عاوزك أحسن من كده علشان تساعدي أختك تتكلم

رينا: هى بتتكلم.. بتتكلم بس لما بتنام بس.. بتقول عاوزة أروح لماما يا رب.. هى ماما كانت بتحبنا صح؟

عبد العظيم: آه يا حبيبتي كانت بتحبكوا

رينا: بس كانت بتحتب كامل أكتر.. علشان كده خدته معاها

عبد العظيم: لا يا حبيبتي بتحبكوا كلكوا

رينا: طب احنا عاوزين نشوفها

عبد العظيم: انا اديتلكوا كل الصور والرسومات اللي عندي

رينا: لا عاوزين نشوفها زي قبل ما تموت.. عاوزين نعرف نحضنها

عبد العظيم: طيب.. طيب يا رينا.

بكى عبد العظيم، بكى للمرةِ الأولى منذ وقوعِ ما حدث، بكى بما يكفي لشعبٍ فقد أرضَه، أو أمُ فقدت ١٠٠ ابن وبقيت بلا أبناء، بكى كأن العالمَ سينتهي على يدهِ الآن، بكى وتذكر للمرةِ الأولى ما جرى، فكر جديًا في إعادتهِا لبناتِه، ولكن، كيف؟؟ كيف يفعل ذلك بعدما قال إنهم ماتوا ودفنهم بيده؟؟!! هل يأخذ بناتَه ويهرب وتظهر لهم أريانا من

جديدِ؟؟ ولكن من أين يأتي لهم بكامل؟ وكيف ينظر في عيونِ أريانا التي لا تعلم لماذا هي تعيش حتى الآن، حتى هو لا يعلم لماذا يُبقي على حياتِها حتى الآن، هل ليعرف نسبَ ابنِه له بالفعلِ؟ هو لن يعرف منها، هى من الأساسِ لا تعرف، لا يعرف أحدٌ، ولا حتى الأطباءُ والتحاليلُ، كامل غيرُ موجودٍ حتى لاختبارِه، تألم كثيرًا عبد العظيم من هذا الشعورِ الذي يَقسمه لنصفين، النصفُ الأولُ يبحث عن ابنهِ الذي فقده بين يومٍ وليلةِ، والنصفُ الثاني الذي ارتاح لعدمِ وجودهِ في حياتهِ، كي لا يُصبح بها شيءُ يربطه بالحياةِ، انهار عبد العظيم من البكاءِ حتى سمعته ابنتها رينا.

رينا: بابا.. بابا علشان خاطري متعيطش.. أنا خايفه تروح لماما وكامل وتسيبنا لوحدنا

عبد العظيم: متخافيش يا رينا.. متخافيش

رينا: أنا خايفه.. خايفه أوي.. أنا مش بنام غير الصبح.. أنا خايفه أوي يا بابا.. أنا نفسي أشوف ماما أوي.. أو موتنا علشان خاطرنا

عبد العظيم: حاضر.. حاضر يا حبيبتي.. والله العظيم هخليكوا تشوفوها

يعيش عبد العظيم في مرحلةِ اللاحدودِ، لا حدودَ لمشاعرهِ، لا حدودَ لأفكارهِ، لا حدودَ للممكنِ أن يفعله، فكر في كلِ شيءٍ من أولِ إظهارهِا، لفضحهِا، لقتلهِا،

للتمثيلِ بها هي وجمال، فكر في قتلِ ابنتيه ليرحمهما من هذه الحياةِ المليئةِ بالخيانةِ، ليشطب تاريخَ هذه الأسرةِ النجسةِ من بابهِا، فكر في كلِ شيءٍ، فكر في أن ينزل البنتان لأمهمِا ليموتا سويًا، فكر في كلِ ذلك، ولكن هذه اللحظاتِ لم تزحزح رغبتَه في الانتقامِ الأكبرِ لحظةً، كل ما سيطر عليه هو أنه طيفٌ سينتقم، يفكر في طريقةِ للانتقامِ تُذكر في التاريخِ، طريقةٌ مبتكرةٌ لم يسبقه لها أحدٌ.

قرر عبد العظيم أن يمثل ب أريانا، ولكن تمثيلًا أمام نفسهِا فقط، نزل لها، وعدها بفرصةٍ تسمح لها أن ترى بناتها، ولكن الفرصةَ مشروطةٌ بعمرهِا وعمرهمِ، إن نطقت سيقتلها ويقتلهم، وأبلغها أنه سيبحث عن زوجتهِ الحقيقيةِ التي قتل ابنهَا لأجلهِا، وعدها أن يُرجع هانم، وأن تكون هانم هي المشرفةُ على بقاءهِا على قيدِ الحياةِ، وإن ماتت ستقتل بناتهَا في نفسِ اليومِ، فهكذا قال لها «إياكي أن تموتي».

فما الذي تشعر به أريانا الآن؟

هل تتمنى الموت؟ هل يريحها؟ كيف يُهدد شخصًا بأن لا يموت؟؟ لا أعلمُ ماهيةَ هذا الشعورِ !! لا أستطيعُ وصفَ مشاعرِ مثلَ من في هذا الموقفِ، فالحياةُ تهديدٌ والموتُ تهديدٌ وكلاهما عذابٌ، فهل وصل الآن عبد العظيم لمبتغاهِ؟

الإجابة «لا»

رينا: بتعمل إيه يا بابا؟

عبد العظيم: بعمل تمثال لماما يا حبيبتي.. علشان تفضل قدامك.. وتقدري تحضنيها

رينا: بس التمثال عمره ما هيحضني.. ماما مش هترد عليا برضو

عبد العظيم: بس تقدري إنتي تكلميها.. وأنا بأكدلك إنها هتكون سمعاكي

رينا: بجد يا بابا؟ يعني ماما هتكون سمعاني.. احلف؟؟

عبد العظيم: والله.. والله يا رينا هتبقى سمعاكي

أكمل عبد العظيم تمثالَ الانتقامِ، قرر أن ينحت هذا التمثالِ ل أريانا بشكلهِا وجسدهِا الحقيقيين، ويضعه في صالةِ البيتِ، حتى يستطع بناتُه أن يرون شكلهَا ويتحدثون معها وهي تستطيع أيضًا أن تراهم وتسمعهم، رأى عبد العظيم أن الطريقةَ الأمثلَ للانتقامِ من أريانا أن ترى بناتها، وإن نطقت يومًا وكلمَتهم، سيُقتلون.

رينا: ماما.. بابا قالي إنك سمعاني.. أنا بحبك أوي.. وانتي وحشاني.. وحشاني خالص

من يوم ما مشيتي يا ماما.. من يوم ما مشيتي.. وأنا بعيط أوي قبل ما أنام.. ولما بنام بشوف حاجات بتخوف.. بشوفك بتجري.. بتجري واحنا بنجري وراكي.. بس بتبعدي كل شوية أكتر.. ساندرا مبقتش بتتكلم خالص غير

وهي نايمة.. بتقول ماما هنا.. ماما هنا.. هي الصغيرة وفاكرة إن إنتي لسه هنا.. وأنا مبرداش أقولها إنك خلاص.. مش هنا.. ومش هتبقي هنا.. أنا كبيرة وعارفة.. بس بابا قالي إن هنا إنتي هتبقي سمعاني.. وهو حلفلي.. وأنا مصدقاه

أنا بحبك أوي يا ماما.. ونفسي في الموت أوي علشان أرجع أعيش معاكي.. ولحد ما أموت.. هفضل آجي هنا وأكلمك واحكيلك كل اللي بيحصل.

ما هذه البشاعةُ؟؟ نحت عبد العظيم بكلِ إتقانٍ تمثالًا بمقاييس جسدِ أريانا، تمثالٌ مُفرغٌ تستطيع من خلاله أريانا أن تدخلَ وتجعلَ عينيها أمام العينين الزجاجيتين لترى بناتهَا في صمتٍ سيقتُلها يومًا، تراهم من خلفِ زجاجٍ كثيفٍ، ترى خيالهَم وتتخيل ملامحهمَ، تسمعهم جيدًا، ولا تستطيعُ أن تنطق كلمةً واحدةً، لا تستطيع أن تقول لإحدى بناتهِا «أحبك» ما هذا الانتقامُ المُتقنُ الذي اخترعه عبد العظيم؟ كيف تبَّدل من عاشقٍ ولهانٍ لمنتقمٍ جبارٍ؟ كيف تُحولُنا الحياةُ إلى هذا النقيضِ القابضِ؟ كيف تأخذ من روحنا الحياةُ وتترك في حياتنِا موتًا مخيفًا؟ كيف تدرجت الأحداثُ إلى هذا المنعطفِ المرعبِ؟

كان عبد العظيم يتفنن في تعذيبهِا بأنواعِ طعامِ يعلم جيدًا كم كرهها لها، قرر ألا تنعم بشيءٍ، حتى الأنفاسُ كان يتدخل بموادهِا ليُعكرهُا ويجعلها مشقةً، حول عبد العظيم

كلَ ما يفعله الإنسانُ بشكلٍ روتيني، من نومٍ وتنفسٍ وأكلٍ وشربٍ لأعباءٍ تزيد يوميًا بتفننٍ غريبٍ، لا يبقى ل أريانا في هذه الحياةِ إلا سببٌ واحدٌ للحياةِ بالنسبةِ لها، رؤيةُ بناتهِا والاطمئنانُ على ابنهِا، أما بالنسبةِ لعبد العظيم فبقاؤهُا أيضًا له سببٌ واحدٌ معلنٌ، وهو معرفةُ ما إذا كان كامل ابنَه أم ابنَ جمال.

# مذكراتُ د. عبدالعظيم

## الملفُ الذي لم يَكتبه عبدُ العظيمِ

رينا: بابا.. اصحى يا بابا.. بابا إنت كمان مُت؟

**عش الخفاش ٤**

أنور: والفيلا دي مهجورة كده من إمتى؟؟

سلمى: من يوم ما عمو عبد العظيم مات فيها.. واختفوا رينا وساندرا

أنور: مات إزاي؟؟ ويعني إيه اختفوا؟

أنور: بيقولوا لقوه في المرسم على كرسيه زي ما يكون نايم.. سابوه ٤ ساعات.. خافوا يصحوه.. مصحهوش غير لما قعدوا يدوروا على البنات محدش لاقاهم.. بيصحوه لقوه ميت

أنور: بيت غريب أوي البيت ده

سلمى: الخدم كلهم مشيوا وسابوه.. وباقي العيلة خافت تيجي.. بيقولوا البيت ده مات فيها ناس كتير.. واختفى منه كل الأطفال اللي كانوا فيه.. خافوا.. محدش جه

أنور: مين تاني حصل فيه كده؟

سلمى: بيقولوا مرات عمو عبد العظيم.. وبيقولوا كمان إنها ماتت هي وابنهم الصغير.. ده الوحيد اللي كانوا

مسمينه على اسم جدو «كامل»

أنور: شوفتيهم قبل كده؟؟

سلمى: لا خالص

أنور: أنا قلبي مقبوض

سلمى: إيه؟؟ أنت خوفت؟

أنور: لا مخوفتش بس من ساعة ما جيت هنا وأنا قلبي مقبوض

سلمى: حابب نمشي؟

أنور: خلينا نكمل تدوير ولو ملقناش حاجة نمشي

سلمى: طيب يلا ندور في الشجر اللي في الجنينة.. هنا أكيد مش هنلاقي حاجة.. نشوف في أي مخزن أو في الشجر الناشف نفسه.

أنور: يلا .. يووووه الموبايل فصل.

سلمى: خلاص طيب اهدى أنا هنور موبايلي.

أنور: طيب يلا.. يلا نخرج نبص بره.. نشوف في نور ربنا.

سلمى: يلا.. تعالى نشوف هنا.. عند المكان المكركب ده.

أنور: مش هنعرف ندخل.

سلمى: طيب ممكن نجرب؟ ولا هتقعد تقفلي في كل حاجة ونمشي؟

أنور: يلا يا سلمى نروح يلا

سلمى: تعالى.. بص ده في بيت كلب.. أكيد بابا كان عمره ما هيجي هنا.. بابا بيخاف من الكلاب موت

أنور: واسع ليه كده؟؟ بيوت الكلاب بتبقى أصغر من كده وليه ملهوش باب؟؟ أكيد في حد دخل هنا سرق أي حاجة ينفع تتسرق

سلمى: كانوا سرقوا الحاجات اللي جوه.. أو التمثال اللي رعبني ده

أنور: الناس هنا أجبن من إنهم يدخلوا جوه

سلمى: عارفهم أنت يا أنور أوي

أنور: منهم.. مش هعرفهم إزاي !.. بصي كده.. تعالي نوريلي جوه بيت الكلب ده

سلمى: أهو.. هو انت شايف إيه؟

أنور: شايف قفل على الأرض.. قفل زي ما يكون على باب مخبي حاجة تحته

سلمى: طيب بص كويس

أنور: أهو.. شوفي معايا.. هو مش باين من التراب .. استني هدخل أشوفه

سلمى: لا.. لا يا أنور

أنور: إيه يا سلمى هو أنا خريج فنون جميلة؟؟ أنا خريج آثار متقلقيش

سلمى: طيب علشان خاطري خد بالك

أنور: طيب نوريلي بس.. أهو مسكت القفل أهو.. ده مفتوح مش مقفول

سلمى: طيب افتح

أنور: أهو بحاول.. القفل مصدي.. بحاول أهو.. فتح.. فتح خلاص.. وسعيلي علشان أفتح الباب

سلمى: حاضر.. حاسب بس

أنور: ده باب لنفق.. نفق؟؟ النفق ده بيودي على فين.. ليه ممكن يكون في هنا نفق؟؟

سلمى: أنا خايفة يا أنور تعالى نمشي

أنور: نمشي فين؟؟ احنا كده قربنا.. حتى لو مقربناش لعش الخفاش.. ف أكيد قربنا لسر من أسرار القصر .. استني .. ممكن تسكتي ثواني.. هنحدف حاجة في النفق علشان نحاول نعرف طوله.. ونعرف إذا كان مسدود ولا لا.

سلمى: احدف دي.. دي طوبة تقيلة هتفهمنا

أنور: هاتي.. أهو

سلمى: سامع

أنور: استني بس

سلمى: دي لسه ماشية لغاية دلوقتي.. ده طويل جدا

أنور: ده طويل وموصل دور تقريبًا كامل تحت الأرض.. سلمى في بيت.. ده البيت اللي احنا واقفين فيه. ده

سلمى: وهنعمل إيه؟؟

أنور: هنوصله

# على الجدرانِ

ساقه القدرُ بالمعنى الحرفيِ للكلمةِ ليعرف حقيقتَه، ليفهمَ كلَ شيءٍ، ليعلمَ عن نفسهِ ما لم تُخبره به هانم، ما لم يحكي عنه عبد العظيم في مذكراتِه، مالم يُفصح عنه حامد، ما لم يُعلِمهُ إياهُ الأستاذُ جمال، هناك أشياءٌ القدرُ فقط هو من سيخبرك بها، كي لا تنساها، كي تُشكل ملامحَ حياتكِ المقبلةِ، كي تختبرك اختبارَ الموتِ، هذا الاختبارُ الذي إن لم تنجح فيه، سقطَ فيك، وأسقط بداخلِك ما سيُميتُك لا محالة، في طريقِ أنور للبحثِ عن الدورِ التحتانيِ السري، طلب أن يصعد إلى مكانِ موتِ عبد العظيم، لكن سلمى لا تعلم أين هو، فأخذ يبحثُ عن بقايا أدواتِ الرسمِ فوجدها، ووجد بجانبِها هذا الصندوقَ المخبأَ به تلكَ المذكراتِ التي قرأناها جميعًا، وأرشدته إلى الدورِ التحتاني، دورِ نهايةِ الأسرارِ.

دخل أنور ووراءه سلمى، ممسكةً بيدهِ كطفلٍ في غابةٍ موحشةٍ، روائحُ كريهةٌ لكنها ميتةٌ، ليست نفاذةً، الروائحُ نفسهُا ميتةٌ، الهواءُ المكتومُ يدل فقط على موتٍ، أسرابٌ من الموتِ في هذا المكانِ، من الواضحِ أن هناك من مات هنا عدةَ مراتٍ، كان هنا شخصٌ يموتُ يوميًا، فثبتت رائحةُ الموتِ، وغادرت كلَ أصنافِ الحياةِ، بخطواتٍ ثقيلةٍ وضوءٍ ضعيفٍ وجد أنور بقايا إنسانٍ تحت قدميه، لم يُخبر به سلمى، وبكى، أخذ يبكي بُكاءًا حرًا، بكى كمن مات،

مات كلُ من له الآن، لا يعلم لماذا بكى، لكنه لم يستطيع التوقفَ عن البكاءِ، صرخت سلمى فجأةً عندما رأت ما وجَّه له أنور النورَ، بقايا إنسانٍ مُعلقٍ داخلَ التمثالِ، ملابسَ نسائيةٍ، بداخله رفاتٌ على هيئةِ جحيمٍ، هنا ماتت تلك المرأةُ، داخل هذا التمثالِ، سقطت عظامهُا بعد شهورٍ أو سنين لا أحدَ يعلم، لكنها أرادت أن يَعلم هو، فوجدهَا حفرت بعضَ الكلماتِ على الحائطِ

«أنا الأمُ لهم جميعًا، لكني لا أعلم من هو الأبُ لابني كامل»

سلمى: أنور.. أنا .. أنا هيغم عليا.

أنور: يلا هنخرج.. دقيقة واحدة.. هصور الحيطة.

***

أنور: إحنا هنبات عندك النهاردة

الأستاذ جمال: مين دي يا أنور؟

أنور: مش عاوز أتكلم.. دخلها أوضة وسيبني في أوضتي.

الأستاذ جمال: طيب إيه اللي متربك كده؟

أنور: سيبني.. سيبني.

***

عكف أنور الليلَ بكاملهِ على المذكراتِ، عرف ما لم يكن يومًا يحلمُ أن يعرفه، قبل أن يخرج مسح كلَ الدموعِ التي نزلت منه في حياتِه، أخذ سلمى من يدهِا، وذهب، وكانت خلفيتهَ الصوتيةَ صوتُ مؤذنِ الجامعِ وهو يقول:

« توفت اليوم إلى رحمة الله تعالى.. أمينة صابر الحالف.. أم الأستاذ أنور حامد.. والدفنة بعد صلاة الضهر».

سلمى: احنا رايحين فين؟؟

أنور: مفيش هنا عش الخفاش

سلمى: هندور عليه في مكان تاني؟؟

أنور: لا

سلمى: هو إيه اللي احنا كنا فيه ده؟؟

أنور: أنا هعتبره منام

سلمى: منام؟؟

أنور: حلم.. اعتبريه حلم يا سلمى.. علشان لو صدقنا إنه حقيقة.. هنموت.

هيا، هيا قوموا يا أولادي النجباء، انتهت رحلةُ الغدِ، وغدًا سيُحكى لكم قصةٌ أخرى من المستقبلِ، موعدنا في الساعةِ نفسهِا، في المعبدِ نفسِه، لكن سيحكي لكم القصةَ

المقبلةَ الكاهنُ حان، سيحكي لكم قصةً من تأليفِه أيضًا حولَ المستقبلِ، أما أنا فهذه آخرُ حكايةٍ سأحكيها لكم، عمرُ الحاكي في قانونِ الحكي الذي يَحكمُنا هو حكايةٌ واحدةٌ فقط، أُودعكم.

**«تمت بحمدِ اللهِ»**